

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى د. فريدة بوساحة جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة

الملخص:

يعالج المقال موضوع فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى داخل إطار نظري مرجعي لساني-نفسى سمي من طرف الذهنيين با "الذاكرة النصية"، وهي الدراسات التي تحاول أن تربط علاقات ما بين البنية النصية والتنظيم الذهني معالجة إشكالية "وحدة الفهم"، أي وحدة التقطيع القرائية .

- لقد فقدت الجملة بعض قيمتها اللسانية - التحليلية وحتى التواصلية كي تحلّ محلّها مفاهيم أخرى تؤسس وحدة للتحليل ووحدة للفهم كذلك، مثل: العبارة، ذات الحمولة الدلالية، السلسلة والمتتالية لأجل التأكيد على السلسلاتية النصية. لكن بقي المصطلحان الآخران غامضين ومبهمين واحتفظت معظم الدراسات بالعبارة وحدة للفهم وللتحليل.

- إنّ المفاهيم السابقة الذكر تمثل الوحدة الصغرى، أي الوحدة الدنيا للفهم والقراءة النصية، هذه البنيات الصغرى يدجها القارئ دلاليا كي ينتهي إلى تأسيس بنيته الكبرى موظفا لحدسه التناسقي، مفترضا حلقات مفقودة ولقصديّة قد يخفيها الكاتب، مستنتجا، مفترضا، مشتقا لمعاني ليست حاضرة على المستوى السطحي للنص، غير أنّ مفهوم البنية الكبرى بقي ملتبسا وغامضا خاصة لما يعطى أحيانا مرادفا لعنوان النص . فمن أين يبدأ القارئ قراءة نصّه .

- إنّ أهم الإجراءات الذهنية - اللسانية التي يوظفها القارئ لأجل استنتاج البنية الكبرى إجراءات حذفية، اختزالية كي يبقى على ما يراه قطبا أو بؤرة النص المقروء، والعناصر الأكثر عرضة للحذف هي المعلومات التي لا يسترجعها القارئ عند تأسيسه للبنية الكبرى .

- إنّ كلّ من الحذفية والتقليصية والاختزالية هي بمثابة التوجه اللساني الجديد . تلك القوانين الحذفية التي يمكن اعتبارها قوانين إعادة كتابة لأنّها تؤسس بنية ذهنية -

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

لسانية مكافئة للنص. لذا يمكن القول أننا مازلنا نستعير الكثير عن الجهاز المفهومي لدراسة الجملة مع أننا نزعم أننا قد تخلينا عنها وحدة للتحليل وللهم كذالك .

- إنَّ القارئ لأجل فهم نصه يدمج البنيات الصغرى أو العبارات الحاملة للقضايا الصغرى، الأكثر لسانية، ذات الاستقلالية المحلية الغير المستقلة عن الكلية، موظفا للذاكرة القصيرة المدى، مؤسسا لبنية كبرى عند نهاية القراءة، حاملة للقضية الكبرى، الأكثر ذهنية، الأكثر تعقيدا، ليست تجميعا للبنيات الصغرى موظفا للذاكرة البعيدة المدى .

Abstract :

The Article addresses the issue of appreciating the texts through their minor and major structures within a conceptual psycho-lingual frame of reference, which the mentalists define as a "textual memory". The mentalists' studies try to associate the textual structure with the mental coordination in a bid to resolve the dilemma of "unity of comprehension".

- The sentence has lost some of its analytical-lingual, and even communicative, values that were replaced by other values, which create a unity of analysis and a unity of comprehension- like the **phrase** of indicative mood, which is usually **serial and sequential** to accentuate the **textual concatenation**. The other two idioms are still vague and ambiguous. Most studies maintained the **phrase** as the unit of comprehension and analysis.
- The former concepts represent the **minor unit**, we mean the lesser unit of comprehension and text reading. The readers usually consolidate those minor structures indicatively so as to set up his own **major structure** utilizing his **harmonizing conjecture** - forming a supposition of missing loops and the writer's unseen intent. The readers will then deduce, suppose, and derive the meanings that do not float on the surface of the text. The concept of the major structure is still indistinct and unclear; especially when used in the title of a text. The question is: where should a reader start reading a text?!
- The most significant mental-lingual measures employed by the reader to deduce the major structure of a text are by **reduction and deletion** in order to highlight what he sees as a **focal point** or **polar** orientation of the text. The parts most susceptible to deletion are the information the reader cannot recall when he sets up the major structure of the text.
- Reduction, deletion, and curtailment are the novel lingual orientation. Those deleting rules that could be considered rewriting rules as they set up a mental-lingual structure that is fully tantamount to the text. We can now opine and

emphasize that we are still borrowing and deriving a lot from the means of comprehension to study the sentence, though we may claim that we discarded the means of comprehension to gain unity of analysis and comprehension.

- The reader, in a bid to comprehend the text, merges the minor structures or the phrase bearing the minor issues, the extra lingual, which are universally bound and locally independent. The reader here employs the short term memory to set up a major structure by the end of his reading the text, so conveying the major issue, the extra mental, that is more complicated. In this case it is not a get-together of the minor structures that employ the long term memory.

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى .

الذاكرة النصية مدخل ومقدمة .

إنّ المقاربات القرائية التي يأتي بها الباحثون الذين يهتمون بتحليل وفهم النصوص غالباً ما تعتمد نظريات لسانية يأتي بها اللسانيون لأجل معالجة النصية وتحليل كيفية تكوينها وانسجامها . وبما أنّ اللسانيات قد اتجهت اتجاهاً نصياً فكذلك البحوث اللسانية – النفسية الخاصة بكيفية تفسير استراتيجيات الفهم تأخذ المسالك نفسها لأجل تحليل عملية استيعاب النصوص، لذا ربطت علاقات وطيدة بين التنظيم النصي وتنظيم الذاكرة وأصبح اللسانيون – الذهنيون يتحدثون مؤخرًا عما يسمى بالذاكرة النصية ويعالج هذا الموضوع داخل إطار معرفي خاص بكيفية فهم النصوص وتخزينها وكيفية استرجاعها .

يعتبر هذا المبحث ضمن المباحث اللسانية – الذهنية الجديدة التي لم تتجه إليها البحوث إلا بعد السبعينات، خاصة بعد الأعمال التي قدمت من طرف الثنائي "فان ديك" و"كينش" وذلك بعد سيطرة لسانيات الجملة مدة طويلة من الزمن وهي ما تزال كذلك لحدّ الآن عند "شومسكي" . بعدها أخذت العوامل غير اللسانية بعين الاعتبار، قيل حينها أنّنا لا نتواصل بالجملة بل نتواصل بالنصوص، أو بالأحرى بالخطابات .

لقد أجريت اختبارات ذهنية كثيرة حول التخزين والمعالجة اللغوية الجمالية واتجهت البحوث فيما بعد إلى تفسير عملية الفهم والتخزين النصي بصفة عامة وأصبح يعالج هذا الموضوع داخل إطار الذاكرة النصية «mémoire textuelle» التي عرّفت على أنّها مفهوم يسمح بالقول بأنّ التمثيلات الخطابية لما تسنن تصبح الوحدة اللسانية ركيزة تكرارية

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

أو تردادية - أي تسمح باسترجاع المعلومة -، ثمّ فرّق بعد ذلك كلّ من "جون ميشال آدم" J. m . Adam و "بوشجون" «Petitjean» بين الذاكرة النصية والذاكرة الخطائية، ذلك أنّ هذه الأخيرة تتغذى بالاستمرار بواسطة الأحداث المصاحبة للنص «co-»¹ textes لقد تناولت هذه البحوث بصفة خاصة كيفية الحصول على المعلومات من النص، حيث يعالج النص داخل هذا الإطار نصا - معلومة، وتضمنت الدراسة بحوث كلّ من "ف كولبين" «F. Colbin» وكذلك "ف. ناف" «F.Nef»، أما الذاكرة الخصوصية فتتضمنها أبحاث "أ بروندون" «A . Berrendonne».

تعتبر المكتبة العربية جدّ فقيرة إلى الدراسات الخاصة بالذاكرة النصية، حيث لا نعثر على دراسات من هذا النوع وإن قدمت بحوث حول قراءة وتخزين النصوص الأدبية وكيفية إعادة تشكيلها من طرف القارئ ضمن ما يسمى بنظرية جمالية التلقي²، لكن فيما يخص فهم النصوص عامة وكيفية معالجتها ذهنيا وبحوثها المدرجة ضمن العلوم اللسانية - الذهنية نادر العثور عليها.

إنّ كيفية تخزين السلسلة النصية بصفة عامة وكيفية استرجاعها ما تزال محلّ بحث وأخذ وردّ داخل اللسانيات النفسية - الذهنية حتى عند الغربيين وتعتبر من المباحث المتداخلة والمتعددة الاختصاصات، منها اللسانية -الذهنية - المنطقية - الحاسوبية، لذا تعتبر معالجتها صعبة ومتشعبة . كأن تأخذ مثلا كيفية تخزين التسلسلات العبارتية النصية

¹ - لمزيد من التوسع فيما يخص: النص، مصاحب النص، داخل النص، خارج النص، ... يمكن الرجوع إلى:

G . Kleiber Dans « quand le contexte va ; tout va et Inversement IN. Claude guimier: co-texte et calcul du sens . actes de la table ronde tenue à Caen les 1-3 février 1996."

² - أنظر د/ ميلود حبيبي: بيداغوجية التلقي واستراتيجية التعلّم، تلقي النصوص الأدبية بين تأثير البنية النصية الموسوعية المعرفية للقارئ. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس. المملكة المغربية.

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

أهمية كبيرة داخل المباحث الخاصة بالذاكرة، سواء منها القصيرة أو الطويلة المدى (الذاكرة الدلالية) .

إنّ تخزين النصوص واسترجاعها لا يتمّ حرفياً إلا نادراً، حيث أنّ القارئ لا يبذل جهداً كبيراً عند محاولة استرجاع المعنى العام للنص، أو تذكّر النص دلالياً والمحافظة على محتواه، كما لا يبذل جهداً كذلك فيما يخص إدراك الشكل النصي العام كأن يكون قصيراً أو طويلاً، مقالة أو إعلاناً أو لوحة مأكولات أو قائمة أسماء . كما يمكن للقارئ كذلك أن يحتفظ بالحدث الأهم أو الحدث الأكثر تواتراً داخل النص، كأن يتحدث صحفي مثلاً عن حادث مرور وقع في طريق ما، فالقارئ يسترجعه أكثر من غيره من الأحداث الأخرى الفرعية والتفاصيل المتفرعة عن الحادث كحضور رجال المطافئ والإسعاف وكيفية إنقاذ الجرحى، كما يجد القارئ صعوبة في محاولة تذكر واسترجاع تفاصيل البنية أو البنيات الصغرى المحتواة داخل النص إلا إذا كانت تمايزية، أو ذات أهمية بالغة داخل سير أحداث الحادث، أي إلا إذا كانت بنية لغوية دنيا ولكنها حاملة لأهم حدث.

فالقارئ عند قراءة نصه لا يستعيد البنية الصغرى إلا إذا كانت ذات أهمية بالغة داخل تطوّر النص، كأن تكون عبارة منعرجاً في تطوير أو تغيير سير الأحداث فيه. فمن الصعوبة الانتباه إلى كلّ البنيات الصغرى وفهمها كلّها تفصيلياً، أو محاولة استرجاعها بدقة إلا إذا كان النص قصيراً . فنحن أثناء عملية القراءة ومحاولة الفهم لا نهتم في غالب الأحيان بالمعلومات الفونولوجية، أو الصرفية، أو النحوية – التركيبية إلا إذا كانت تمايزية، مثل الأحداث التفصيلية تماماً . لذا غالباً ما تعتبر البنية الصغرى داخل النص ثانوية أو ليست ذات قيمة وهي مفصولة عن باقي أجزاء أو عبارات النص الأخرى، فتلك التفاصيل تعتبر غير أساسية لأنها تدمج داخل وحدات كبرى خاصة إن كان النص المقروء طويلاً. تتم عملية الدمج حسب الأفكار التفصيلية، الجزئية، الفقرات، الأحداث، حسب كيفية التحليل التي تتبعها، حسب أهداف القراءة... إذ أنّ تلك العبارات غالباً ما تدمج كي تكتسب مضموناً دلالياً إجمالياً أو كلياً¹. فما هي هذه الوحدات، أو البنيات الدنيا التي

¹ - فيما يخص الذاكرة الدلالية يمكن الرجوع إلى:

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

يصعب استرجاعها، أو بالأحرى ما هي وحدة الفهم الصغرى؟ التي يمكن أن تكون جملة أو عبارة، أو سلسلة... وهي التي يطلق عليها اللسانيون الذهنيون البنية الصغرى .

1- البنية الصغرى وحدة للفهم .

لقد اعتبرت الجملة وحدة نصية لمدة طويلة من الزمن واعتبر النص مجموعة، أو حتى منظومة من الجمل، لكن مع تطوّر الأشكال النصية والتغييرات التي حدثت على الكتابة عامة، حتى فما يخص الكتابة غير الأدبية، طوّرت النصية أشكالاً جديدة للكتابة، لذا فالمفاهيم القديمة لم تعدّ صالحة لمعالجة نصوص جديدة تجاوزت نصيتها الجمالية المتعارف عليها كلاسيكياً. كأن تكون هذه النصوص عبارات متقطعة، أو جمل نواة مستقلة بنفسها، جمل نقاط، والتي نعثر عليها حتى خارج الكتابة الأدبية، وهو ما جعل الكثير من اللسانيين يقترحون بدائل أخرى للجملة يمكن أن تكون وحدة للتحليل النصي وللهم كذلك، منها:

العبارة.

لقد فقدت الجملة قيمتها وحدة نصية، بل حتى وحدة تواصلية، جاء بعدها الباحثون بالعبارة «la proposition» ولم تعدّ الجملة وحدة تحليلية رئيسية، أو أساسية مثلما كانت عليه طيلة درس اللساني من "دي سوسير" حتى "تشومسكي". لقد أصبح النص هو الركيزة وبحوثاً له مرة ثانية عن وحدة تحليل أخرى بدل الجملة، إذ لا بدّ أن تتخذ النصوص وحدة تقطيع معينة لأجل القراءة والفهم - التي هي في غالب الأحيان وحدة التحليل اللساني -، فلا يمكن أن نتصوّر قارئاً إلا وهو يقطّع نصه تقطيعاً منتظماً لأجل فهمه أو لأجل تخزينه في الذاكرة، فهو مرة يتخذ العبارة علامة لأجل التوقف والتقطيع، ومرة أخرى يمكن القول أنّه يتوقف عند انتهاء السلسلة أو المتتالية الكلامية أو الكتابية، مع أنّ المصطلحين أكثر ضبابية والتباساً من الجملة المتخلى عنها. لعل القارئ المحاول لفهم النص يتوقف عند حصوله على إفادة ما، أي عندما يتحصل على معلومة معينة يمكن أن تكون لها بعض الاستقلالية المحلية . لذا بدأت الدراسات تتخلى عن الجملة ذات الطابع أو الهوية النحوية كي تتجه إلى العبارة وتوجهها توجّها دلالياً أكثر منه نحويًا. طرح بعد ذلك

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

السؤال التالي: كيف يصف القارئ المعلومات التي يأتي بها النص؟ وذلك لأجل محاولة فهم كيفية فهم النص، وكانت بعض الإجابات: ((أن نفهم النص أو أن ننجز نصا معناه أن نبنى تناسقا معينا لمحتويات دلالية))¹. لقد اتجهت البحوث اتجاهها دلاليا رغم الصورية والنمذجة العلمية التي كانت البحوث اللسانية الجديدة تسعى إلى تحقيقها بما فيها البحوث الخاصة بفهم النصوص وتخزينها .

لقد جاء "تيلفينق" «Tulving» بما يسمى بتنظيم المجموعات الدلالية خلال سنوات السبعينات، وارتبطت بحوثه بالدراسات التي قدمت حول الذاكرة الدلالية الطويلة المدى وكذلك بالدراسات التي قدمها "دونالدسن" «Donaldson» 1972، حيث اتجهت البحوث إلى إنجاز مقاربات أكثر دلالية، حتى عند محاولة دراسة البنية التركيبية، بعد أن ارتكزت فيما قبل على البنية التركيبية بنية - نحوية شكلية وانفتحت تلك الدراسات الجديدة على نماذج أكثر دلالية - خاصة أنّ الذهنية دلالية بالدرجة الأولى - وتذكر في هذا المجال دراسات "فلمور" 1968، قدمت حين ذاك مقاربتان رئيسيتان: الأولى مقارنة حاسوبية ومن أقطابها "كلارك" «EV. Clark» 1973 . إنّ معنى الكلمة داخل هذه المقاربة هو عبارة عن مجموعة من السمات أو المميّزات والاختلافات بين هذه السمات هي التي تجعلنا نصنّف كلمة معينة داخل ذلك الصنف دون غيره وتضمنتها خاصة دراسات "ميلر" «A. Miller»، بينما يأتي "كينش" بما يسمى بالمقاربة العبارتية الدلالية «Approche propositionnelle»، وتندرج هذه المقاربة ضمن الدراسات التي قدمت من طرف كلٍّ من "أندرسون"، و"بوار" «Bower» و"نورمان" «Norman» و"روملهارت" «Rumelhart»، حيث أصبحت ((الوحدة الدلالية هي العبارة بدلا من السمة))² . لقد أصبحت العبارة وحدة قاعدية لأجل وصف ومعالجة المحتوى فبالنسبة لكل من "كينش" و"لوبي" 1979 العبارة هي الوحدة الدلالية ذات المرجعية الداخلية المحلية.

¹ - Coirier Pierre et autres: psycholinguistique textuelle ; approche cognitive De la compréhension et de la production des textes . Armand Colin/ Masson .Paris . 1996 . P . 13 .

² -ibid. .p .14 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

لقد عرّف "باختين" العبارة على الشكل التالي: ((العبارة عنصر دال للخطاب في كليته، ولا تحمل معناها النهائي إلا داخل هذه الكلية))¹، أي ليست لديها استقلالاً ذاتياً حتى وإن أعطت بعض الفائدة ولكنها تبقى فائدة محدودة وتحتاج إلى تكملة. إنّ استقلالية العبارة محلّية ولا يمكن لدلالاتها أن تستقل عن باقي عبارات النص، ذلك أنّ عملية الفهم تمرر النص من النصية إلى الخطابية، أي تعطيه أبعاده التداولية، لقد بقيت العبارة عند أغلب المحللين والدارسين وحدة محلّية داخلية وكأّنه لا خارج لها بل لا وجود لدلالاتها كاملة إلا داخل الوحدة النصية التي تعطى الدلالة الإجمالية للنص.

لأجل معالجة البنية الصغرى، أي العبارة، يمكن اعتماد الملفوظية إطاراً معرفياً مرجعياً نظرياً، وذلك لأجل التأكيد على المحلية والارتباط الداخلي والاتصاق أكثر بمحلية هذه العبارة باعتبارها وحدة التقطيع القرائية التي تتموضع المعلومة داخلها دون الخروج عنها، ربما لم نعتد داخل لسانيات النص على مقارنة نصية أكثر علمية وأكثر دقة فيما يخص المعالجة الداخلية للنصوص بعد البنيوية أحسن من الملفوظية التي ترفض المراجع الخارجية للنصوص وتركز أكثر على المراجع الداخلية - اللغوية وذلك بالرغم من أنّ ملفوظها لا يخلو من متكلم - مستمع ومن زمنية / فضائية . رغم ذلك تبقى من المقاربات الأكثر التصاقاً بداخلية النصوص وخاصة إن أخذنا مفهوم قراءة النصوص وفهمها بمثابة نقل النص من النصية إلى الخطابية، أي إعطاء النص زمنيته وفضائيته.

إنّ مرجعية العبارات مرجعية داخلية - محلّية بالدرجة الأولى وتمفصل العبارات فيما بينها هو الذي يكون أو يؤسس النص ((فإن نتلفظ بالعبارة أو أن نقرأ العبارة معناه أن نبني تمثلاً خطابياً))². وبالتالي اتخذت الملفوظية من العبارة كونا أو عالماً مصغراً مشاركاً في بناء فضاء دلالي مصغر. فالقارئ لأجل فهم النص يبني عالماً أو فضاء من الفضاءات الدلالية المحتملة، أو الممكنة وتذكر في هذا المجال أبحاث "فكوني" «Fauconnier» فيما سماه

¹ -Jean-Michel Adam: pour une pragmatique linguistique et textuelle . IN ; L' interprétation des textes par Jean Molino et autres . Editions de Minuit . Paris . 1989 .p.195-196 .

² -ibid.p.196

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

بالفضاءات المنطقية للعوامل المحتملة، حيث تظل مرجعية العبارات مرجعية لغوية، حتى وإن ركزنا على محتواها الدلالي، مرجعية بمفهوم "كوليولي" كقراءة الضمائر العائدة، كيفية تطوّر النص، أو الأحداث النصية وكيفية استرجاع المعلومة الأهم . فالعبارات ذات أبعاد داخلية علائقية، حتى وإن تكلم البعض عن القصدية المحلية غير أنّها تبقى قصدية محلية محدودة ومرتبطة أكثر بالجانب اللغوي .

تبقى العبارة عند "آدم" بنية ووحدة مستقلة إلى حدّ ما، ذات انتظام داخلي خاص بها يميّزها عن بقية العبارات الأخرى يمكن أن تكون تابعة أو مستقلة، غير أنّها غير مستقلة عن الكلّ الذي تنتمي إليه، كما يظل حجم العبارة غير محدد، إذ يتحدث "آدم" عن العبارات الكبرى والعبارات الصغرى التي تعولب داخل علب أخرى أكبر منها.

1-1- السلسلة .

إنّ المهمة الأساسية للعبارات هي حمل الدلالات الصغرى، غير أنّها ذات بعد تسلسلي، فهي بالرغم من كونها حجة أو مسكوكة، أو نتيجة ... هي ذات تسلسلية محلية، وهذه التسلسلاتية «la séquentialité» هي المكوّن الرئيسي للنصية، إذ العبارة لا تأخذ معناها إلا من خلال هذه التسلسلية حتى وإن كانت عبارة عامة، نمطية، ... ويعرّف النص داخل هذه المقاربة على الشكل التالي: ((النص هو سلسلة مشكّلة، موجهة من طرف الوحدات (العبارات) المترابطة تسلسليا والمتطوّرة باتجاه نهاية ما))¹. فالنص نفهم النص حسب "بول ريكور" هو أن تكون لدينا قدرة المرور من السلسلة - أن نقرأ ونفهم العبارات وهي تأتي الواحدة منها بعد الأخرى، حسب الضوابط الخطية للغة وحسب نمط السلسلة - إلى الصورة - يعنى أن نفهم النص ونعطيه معنى داخل كليته²، بالتالي يعتبر "بول ريكور" العملية التسلسلية مهمة جدا في تأسيس نصية النصوص وبالتالي في قراءتها وفهمها، وتمثّل البعض من اللسانيين العملية التسلسلية على الشكل التالي: $\neq \neq \geq$ سلسلة (ات) عبارة (ات) كبرى \geq عبارة (ات) .

¹ -ibid. . p . 203 .

² -ibid. . p . 202-203 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

والفكرة يكون "آدم" قد استلهمها عن "هرالد وينرايش" Harald «¹Weinrich».

لقد اشتغل كلٌّ من "آدم" و"بوتشيجون" على ما سميها بالمقاربة السلسلاتية النصية وتصورا أنّ للنص بعدان: بعد سلسلاتي (البنية السلسلاتية) والبعد الثاني بعد تشكّلي «dimension configurationnelle»².

إنّ أثر النص يكون ناتجا عن التداخل بين البعدين ويشتغل التشكّلي - البراغماتي على التسلسل السلسلاتي، فالتجميع العباراتي بمثابة بنية تسلسلية - تتابعية خصوصية «structure séquentielle»، وتتكون السلسلة عند المؤلفين من هذا التجميع العباراتي، ويصفان النموذج السلسلاتي على الشكل التالي:

((عبارات صغرى . وصفية (عبارات كبرى . وصفية (سلسلة وصفية)))³. أي أنّ السلسلة الوصفية يمكن أن تتكون من عبارات صغرى، كما يمكنها أن تتكون من عبارات كبرى، وهذا النموذج هو الذي يسميه "فليب أمون" «Ph . Hamon» 1981 با "السّميات الوصفية التجميعية" «des grilles descriptives additionnelles» وذلك لأجل وصف كيفية توزيع الوحدات. وهذه السّميات هي التي تكوّن مخططات النصوص . لقد أكد "سرفاتي" «Sérfati» بدوره على السمة التسلسلية للعبارات داخل النص وأخضع هو كذلك نصه للربط بين عاملين من عوامل التنظيم وهما البعدان السابقين الذكر، أي التشكّلي والتسلسلي، حيث يتضمن البعد التشكّلي عنده مقاييس تسيير النص التي تحدّد وظائفه التداولية، أما البعد التسلسلي فيتضمن المقاييس التي تضمن الوحدة ما بين العبارات أي الترابط الصرّي - النحوي للأشكال اللسانية، الاقتصاد العباراتي والتداخل والتلاؤم بين هذين البعدين هو الذي يحدد الأثر النصي الذي يعرفه "سرفاتي" على الشكل التالي: ((أثر النص يبدو نتيجة العبور ... من خطية الخطاب إلى الصورة، من السلسلة

¹ -ibid. . p . 205 .

² - Jean -Michel Adam et André Petit-jean: le texte descriptif . Nathan Université . 1989 . p .80 .

³ -ibid. . p .82 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

النصية وحدة خطية للوحدات اللسانية - الارتباط - إلى إعادة البناء الذهني لهذه السلسلة ككلّ دال منسجم - انسجام وتطور - ومتناسق - تناسقي وتمايزي¹. وهو مفهوم "بول ريكور" نفسه.

لذا يحلّ أحيانا مفهوم السلسلة محل مفهوم العبارة وذلك لأجل التأكيد على خطية النص وأهمية تسلسل العبارات داخله وعلى انسجامه، باعتبار التسلسلية أهم أسس النصية، اعتبرت السلسلاتية أهم القوانين المؤسسة للنص، فالنص بالنسبة لـ "آدم" السابق الذكر هو: ((بنية تسلسلية معقدة متضمنة لعدد غير محدد (س) من السلسلات ناقصة أو تامة - موحدة النمط أو مختلفة الأنماط))² وبالتشكيل البياني نحصل على: ن . بنية تسلسلية... عدد س (ناقصة/ تامة)³.

فإن كانت العبارة ذات بعد دلالي بما أنّها تعطي فائدة محلية وذات بعد نحوي لأنّها مكوّن من مكونات الجملة فالسلسلة يمكن اعتبارها ذات بعد خطي. الميزة التي تؤكد أكثر على الخطية الكتابية، أو حتى على الصورة الكلامية، بحيث أنّ إدراكها وكيفية تحليلها تختلف عن كيفية إدراك وتحليل أو تفكيك الصورة مثلا التي تدرك مرة واحدة، بينما تدرك الكتابة النصية على مراحل أو بصفة تسلسلية متتابعة، أي أنّ عملية الفهم تتم بطريقة تقطيعية تسلسلية ولذلك يمكن اعتبار السلسلاتية مهمة فيما يخص كيفية قراءة النصوص وتحليلها وفهمها كذلك وتخزينها وكيفية استرجاعها . إنّ مثل هذه المسائل ما تزال في حاجة لتطوير بحوث تتناول الفروقات بين فهم الصورة وفهم النصوص وخاصة فيما يخص العملية الإدراكية وتوظيف الحواس وكيفية الترميز والتخزين والتذكر .

إنّ جميع هذه التحديدات قد جعلت من مفهوم البنية الصغرى أداة ووسيلة مهمة داخل علم النفس - اللغة وكوّنت بذلك وحدة قاعدية للفهم وللتحليل كذلك، لقد بقي "آدم" ينظر إلى السلسلة على أنّها وحدة مكوّنة (بالفتح) ووحدة مكوّنة (بالكسر) . فهي

¹ - Georges -Elia Sarfati: éléments d'analyse du discours . Armand Colin .1erEdition .2007 . p . 79-80 .

² - ibid. . p . 80 .

³ - ibid. .même page .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

مكوّنة من سلسلة داخلية (الرسم الحكائي مثلا)، وهي كذلك وحدة قاعدية من مكونات النص. يؤكد بذلك "آدم" على ميزة التسلسلية الاحتمائية، وتمثلها على الشكل التالي: [نص [سلسلة (ات) [عبارات كبرى [عبارات صغرى]]]]¹. يضيف بعد ذلك "آدم" مفهوم السلسلة المهيمنة (بالكسر) والسلسلة المهيمنة (بالفتح)، أي التابعة للسلسلة السابقة وبالتالي فإنّ البنية النصية ليست تسلسلية خطية بسيطة وهو ما سمح بإعطاء أهمية كبيرة للظواهر التسلسلية الكلية حيث يقترح "آدم" تحديد السلسلة ك ((تشكّل مضبوط بواسطة مقاييس مختلفة أو ما تحت الأنظمة))² فالتسلسلية، أو السلسلاتية إذن ميزة أساسية من مميّزات النصية تؤكد على أنّ عملية القراءة والفهم تتم بطريقة تقطيعية تتباعدة داخل تسلسل فضائي - زمني، وهي التي تبرز التتابعية والاستمرارية النصية.

1-3- المتتالية.

لم يكتف اللسانيون بالعارة أو السلسلة، بل جاءوا بمصطلحات أخرى بديلة، منها: المتتالية التي يمكن أن تكون ترجمة لـ «chaîne» أو ترجمة لـ «séquence» السابقة الذكر، حيث يستعمل "الخطابي" على سبيل المثال "المتتالية" بدلا من الجملة . المتتالية يمكن أن تكون جملة أو عدد من الجمل المتتابعة، كما يمكن أن تكون النص كلّ. يبدو أنّ مصطلح المتتالية مصطلح يبرز أكثر المظاهر البصرية للنص، كي يجعله يختلف عن وسائل الاتصال الأخرى، فهو مصطلح يبرز التتالية باعتبارها ميزة لغوية تؤثر على الناحية الإدراكية وبالتالي تؤثر على عملية الفهم بالضرورة.

يحاول بعض اللسانيين إعطاء صبغة رياضية للمتتالية مقبسين ذلك عن الفكر الرياضي. فمعناها الرياضي حسب "جورج مونين" يكتب على الشكل التالي اشتقاقا: متتالية من القواعد r_1, \dots, r_n هي عبارة عن متتالية من الرموز $s \neq$ ، أو $x \neq$ ، $xm \neq \dots$ ، حيث يكون الرمز \neq عبارة عن رمز فاصل للتالي الذي يمثل

¹ -Coirier et autres . p .44 .

² - ibid. .même page .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

الاشتقاق ويرجع هذا المفهوم لـ "شومسكي" خاصة¹. يعرّف "دوبوا" وآخرون المتتالية على الشكل التالي: ((نسمي متتالية في اللسانيات متتابعة منتظمة من العناصر تنتمي إلى مجموعة غير فارغة))². لذا نقول أنّ المتتالية ذات تمثيل بصري بالدرجة الأولى، أي تمثيل غرافي بالرغم من أنّها يمكن أن تكون صوتية، ميزتها الأساسية التابع بالتالي تبدو المتتالية وحدة دلالية، نحوية، غرافية رياضية كذلك . لكنها لا تظهر إلا بواسطة التقطيع «la segmentation». ووحدة التقطيع دلالية بالضرورة، أي فور حصول القارئ على إفادة ما من مقطع كلامي ما، ربما موظفا لحدسه اللغوي، حيث تقطع المتتالية الكبرى إلى أخرى صغرى ثمّ إلى أخرى أصغر وهكذا دواليك. فميزتها الأساسية إذن هي التالي والتتابع على محور سياقي حامل لعلامات توقف³. رغم دلالتها على الاستمرارية .

الهدف من عملية التقطيع هو التعرّف على الوحدات الخطائية، حيث أنّ أبعاده لا توافق بالضرورة التقطيع الجملي، أو الفقراتي . إنّ المتتالية مصطلح علمي يساعد على تقطيع الكلام⁴. فهي وحدة نصية نحصل عليها بواسطة التقطيع ونوظفها في الآن نفسه لأجل التقطيع، عملية ضرورية لأجل فهم النص وتجزئته إلى وحدات صغرى، وأخرى أصغر .

2-1- تأسيس البنية الصغرى:

1-2-1- تكرارية الحجج .

لقد اعتبر "كينش" العبارة بمثابة الوحدة الدلالية الصغرى، أما عملية الربط بين العبارات فتتم بواسطة تكرارية الحجج أو باشتراك عبارات متعددة في حجة واحدة التي تبقى تتكرر . فالبنية الصغرى إذن هي عبارة عن شبكة أو سلمية تصاعديّة ينمو النص من

¹ -George Mounin: dictionnaire de la linguistique . P . U . F . Paris . 1974 .p. 298 .

² -Dubois et autres: dictionnaire de linguistique .Larousse . Paris . 1989 .p. 437 .

³ -Greimas et Courtes: dictionnaire raisonné de la théorie du langage . Hachette .Paris 1979 .p . 348 .

⁴ -ibid. . même page .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

خلالها لأنها هي التي تؤسس موضوع النص، ولأنّ العبارة التي تليها غالباً ما تسترجع أهم حججها¹. وبالرغم من ذلك فإنّ العبارة الأولى لا يكتمل معناها دون العبارات التي تليها، التي توضحها وتعطيها قيمتها ضمن العبارات الأخرى. يفترض إذن في البنية الصغرى أن تكون حاملة للدلالة المحليّة للنص بواسطة التكرارية، وهي نفسها تتكون من شبكة من الحجج قد تحمل فيما بينها مرتكزا سببيا ما .

إنّ عملية الفهم والاستيعاب تستغرق وقتاً أطول كلّما تكررت الحجج المتضمنة داخل النص، فتكرار الحجة يعتبر ركيزة لغوية -ذهنية أساسية لأجل استرجاع المعلومة السابقة وربطها بالمعلومة الجديدة لأجل استمرارية وتطورية أحداث النص حيث تكوّن النحوية وهي لغويتها، وتكوّن ذهنيّتها في حالة ربط الدراسة بالتخزين والاسترجاع، وكيفية اشتغال الذاكرة تتشعب بعد ذلك الدراسات الخاصة بالحجة التي يمكن أن ترجع إلى أشخاص, أشياء, أفكار، أو حتى إلى عبارات أخرى، أي مسندات. وهي تعطي أوصافاً أو مميّزات لتلك الحجج، أو تربط فيما بينها، مثل:

- التلميذ يقرأ .

هي عبارة عن حجة واحدة - التلميذ المسند إليه - والمسند الفعل - يقرأ-

كما يمكن أن تحدد صفة من صفات الحجة . أما عبارة:

- التلميذ يقرأ كتاباً .

حيث يكون المسند - يقرأ- الرابط بين حجتين: التلميذ، الكتاب، أما في الحالة

الثالثة:

- التلميذ يقرأ كتاباً داخل الصّف .

حيث تصبح أحد حججه بمثابة عبارة أخرى يمكن تسجيلها على الشكل التالي:

- ع¹ - يقرأ (التلميذ) .

- ع² - داخل (الصف، ع¹) .

¹ - Coirier et autres . p . 16 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

لقد أجريت الكثير من الاختبارات لأجل ربط عملية القراءة والفهم بعدد الحجج، وبيّنت مثل هذه الاختبارات أنّ عملية الفهم والاستيعاب تستغرق وقتاً أطول كلما تكررت الحجج . وبالتالي تعتبر **تكرارية الحجج** سندا لغويا وذهنيا في آن واحد لأجل تأسيس تناسق نصي لدى القارئ . لقد قدمت بحوث كثيرة في هذا الموضوع من طرف كلّ من "كينش" و"كوزمانسكي" «Kozminsky» و"كون" «M. C. Koon» و"كينان" «Kenan» 1975، حيث لاحظ هؤلاء أنّ الوقت المخصص لقراءة وفهم النصوص سواء منها الطويلة أو القصيرة تتغيّر حسب عدد الحجج التي تتضمنها العبارات، إذ الوقت المستغرق لقراءة العبارة (2) يكون أطول من الوقت المستغرق لقراءة العبارة الأولى. أما التسلسل والترابط الموجود بين الحجج فهو الذي يسمح بتخزينها والمحافظة عليها داخل الذاكرة. إنّ الحجة المهمة هي التي تحتفظ بها الذاكرة أكثر ويهتم بها القارئ ويتوقف عندها، هي الحجة الحاملة للموضوع أو الحجة البؤرة، غير أنّ هذه البؤرة قد لا تظهر أحيانا إلا من خلال انسجام النص كلّه كأن نقول:

- كتب الكاتب قصة في المكتب.

فلسنا ندرى إن كانت الحجة البؤرة هي القصة أم المكتب؟

1-2-2- المعالجة الذهنية للعبارة.

إنّ الكثير من النماذج السابقة المذكورة سواء فيما يخص العبارة حتى وإن كانت ذات سند نحوي/ دلالي، والسلسلة حتى وإن كانت ذات سند خطي، والمتتالية وإن كانت ذات سند رياضي والحجة وإن كانت ذات سند منطقي، يمكن لكل هذه المسائل أن تعالج ضمن المقاربة النفسية- الذهنية وكذلك المنطقية. لقد ربطت هذه المسائل بالفهم وبالتالي عولجت خاصة ضمن الذاكرة الدلالية، تلك البحوث النفسية التي أثرت كثيرا في النظرة إلى العبارة في حدّ ذاتها، واعتبرها المحللون ذوي الاتجاه النفسي خصوصا أنّها ذات محتوى دلالي أكثر من الجملة ذات الحمولة النحوية. فهي مقارنة حسب "صاش" «Sachs» 1967 تركز

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

الدلالة على المحتوى أكثر مما تركزه على الشكل. ذلك أنّ الشكل الحرفي للرسالة ينسى بسرعة، بينما يخزن معناها في الذاكرة الطويلة المدى باعتبارها وحدة دلالية، حيث ((أنّ الصنف العبارتي للرسالة يسمح بحلّ مشكلة المكفاءات الدلالية ذات الأشكال السطحية المختلفة))¹ مثل ما نرى ذلك في المبني للمعلوم والمبني للمجهول، حيث أنّ اللغة تسمح باختيارات كثيرة لممارستها وللقارئ الاختيار لأجل بناء نصه البديل الخاص به.

أما فيما يخص الوقت المستغرق لأجل القراءة والفهم، فقد لاحظ الدارسون أنّ الوقت لا يكمن في طول النص بقدر ما يكمن في طول العبارات وعددها خاصة. إذ كلّما يكون عدد العبارات كبيراً كلّما استدعى النص وقتاً أطول للقراءة والفهم. وهذا ما بيّنته اختبارات كلّ من "كينش" و"كينان" 1973، حيث سلّمت لمختبرين فقرات للقراءة يتراوح طولها ما بين 16-17 سطراً بينما العبارات تتراوح ما بين 4-9، حيث لوحظ أنّ عدد العبارات هو العامل الرئيسي في استغراق وقت أطول للقراءة. لذلك يمكن القول أنّه من الصعوبة زيادة عدد العبارات مع محاولة الاحتفاظ بنفس المفردات بدون تعقيد النظام التركيبي للفقرات، ذلك أنّ التعقيد التركيبي يشرح ويفسر زيادة الوقت المستغرق في القراءة ومحاولة الفهم². لكن القراءة والمحافظة على التناسق والاحتفاظ بالموضوع الأهم داخل الذاكرة والتناسق التطوّري للموضوع المعالج يكمن خاصة في تكرارية الحجج، فهي العملية المهمة لأجل الفهم، أما السّلمية العبارتية فهي التي تساعد على الاحتفاظ بهذه العبارات داخل الذاكرة وتخزينها، وهنا يكمن مفهوم الذاكرة النصية.

لقد عالج "دوفاي" البنية الصغرى والبنية الكبرى داخل الإطار التقاطعي أو القطبية، فالقارئ في رأيه من اللحظات الأولى للقراءة وهو يحاول تطوير الأطر الذهنية العامة كي يوضع النص داخلها، يلزم نفسه من لحظة القراءة الأولى بإعطاء معنى لأجزاء النص أولاً وذلك بإدماجها داخل مسكوكات يمكن تسميتها بالبنيات الدنيا. إنّ هذه العبارات حسب "دوفاي" هي جزئيات نصية يعطيها القارئ معاني ويدمجها بعد ذلك داخل أطر

¹ -ibid . p . 14 .

² -ibid . p . 16 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

سابق المعرفة بما. إنَّ هذه الأطر يمكن اعتبارها أطر معرفية بالمفهوم الذهني، أطر ذهنية معرفية يشتغل وينشط داخلها ذهن القارئ لحظة فعل القراءة. فهي أقطاب عبارات ذات طبيعتين: الأولى تسلسلية التي ترجع إلى الذاكرة الحلقية، إن افترضنا أنَّ الذاكرة تشتغل على شكل حلقات وتحوّل الحلقة إلى حدث أو فعل "رسومات الأفعال" «les schémas» «d'actions»، وهي التي تسمح بإعطاء النص دلالة ديناميكية - تركيبية . أما الطبيعة الثانية فهي ذات نمط تشكلي وهي معقدة بعض الشيء، عبارة عن مخططات من المفاهيم ترجع إلى الذاكرة الدلالية وتسمح بتأسيس علاقات استبدالية داخل النص، فالأولى سردية والثانية خطابية . أي أنَّها تدخل بالضرورة العوامل خارج- نصية في فهم النص واستيعابه، حيث يمكن أن تعالج القطبية في هذه الحالة معالجة ذهنية - سيميائية كذلك .

إنَّ معالجة البنية - العبارة أثناء ممارسة فعل القراءة غالبا ما تشغل الذاكرة القريبة المدى أو الذاكرة العاملة لأنَّها تستند على المحليّة وتركز على الحدث الأهم أو المعلومة الرئيسية، مثل:

- سافر محمد لزيارة أمه المريضة، عاد بعد يومين .

حيث أنَّ الحدث الأهم الذي تحتفظ به الذاكرة العاملة وتستند إليه يكون محلّ اهتمام هو مرض الأم لأنَّه يشكّل الحدث الرئيسي في النص، وهو المسبب لبقية الأحداث الأخرى إذ لو استمر الحديث سيستمر بالضرورة حول مرض الأم. غالبا ما تبقى الذاكرة العاملة تشتغل داخل العبارة الواحدة حاملة للقصدية ولأحداث المحليّة الصغرى كي تكوّن فيما بعد الحدث الأكبر، فالعبارة الواحدة كلَّما كثرت أحداثها كلَّما كانت أصعب على الفهم بالنسبة للعبارة ذات الحدث الوحيد، كما يمكن القول أنَّه كلَّما كان ترتيب الأحداث مشوّشا كلَّما كانت العبارة صعبة على الفهم والتنميط، بالتالي على الفهم والتخزين والاسترجاع. كما أنَّه كلَّما كانت العبارات غير مترابطة، كلَّما صعب فهمها وتخزينها بالتالي يصعب إعادة إنتاجها . فالعبارات التي ليست لديها علاقة المسبب بالنتيجة غالبا ما تقلص وتختزل كي تخزن داخل الذاكرة الدلالية. كما أنَّه كلَّما كانت العبارات ملتبسة كلَّما سببت غموضا دلاليا وصعب فهمها وتفسيرها، ويذكر لنا "فان ديك" النموذج الجملي التالي:

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

-هوجم بيتر من قبل لصّ . لحسن الحظ لم يكن معه إلا بعض المال .
-هوجم بيتر من قبل لصّ . لحسن الحظ قبض عليه في اليوم ذاته¹ .
ففهم العبارات المكوّنة للجملتين الثابنتين يستغرق وقتا أكثر، إذ قد يفسر الضمير العائد تفسيراً خاطئاً، فالعبارات كلّما كانت ملتبسة كلّما صعبت فهمه .
كما يمكن القول أنّ العبارة الحاملة للمعلومة الجديدة تأخذ وقتاً أطول في الفهم والاستيعاب من العبارات الحاملة للمعلومة القديمة، فالمألوف دائماً أسهل على الفهم من الجديد والأصعب منه الغريب . لذا يمكن القول أنّ القارئ لا يبذل مجهوداً كبيراً فيما يخص الإحالة وعودة الضمائر إن كانت العبارات قصيرة ومترابطة فيما بينها ترابطاً منطقيّاً- سببياً نحوياً وحاملة لمعلومة جديدة واحدة، ذلك أنّ النصوص غير الحاملة للمعلومات الجديدة تعتبر مملّة ولا يستحسنها القارئ لأنّها قد لا تعلّمه شيئاً .
كما يلعب ترتيب الأحداث، أي ترتيب العبارات داخل النص دوراً مهماً، وأساسياً في سهولة استيعابها، مثل:

عاد عمر من السفر، أخذ حماماً دافئاً، غيّر ثيابه وأخذ فنجاناً من القهوة.

فالقارئ للنص وحتى مستخدم اللغة عامة يرتب عباراته على الشكل التالي:

1- عاد عمر من السفر.

2- أخذ حماماً دافئاً.

3- غيّر ثيابه.

4-أخذ فنجاناً من القهوة.

يخزّن القارئ إذن دلالة عباراته حسب ترتيب الأحداث في النص، حيث تنظم في الذاكرة على الترتيب: 1، 2، 3، 4. فعملية ترتيب الأحداث وتسلسلها لديها أهمية في عملية الفهم والاستيعاب، كما يمكن أن يكون لعامل السببية أثره البالغ في الربط والفهم.

¹ - فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات , ترجمة وتعليق "سعيد بجيري". دار القاهرة

للكتاب. القاهرة مصر, 2001 ص. 288 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

أخيرا نقول وكأننا عندما ننتيه في البحث عن وحدة للفهم أكثر ملاءمة من الجملة نقيس بها كيفية فهم القارئ نصه قد تأتي بمصطلحات تكون في غالب الأحيان أكثر تعقيدا وأكثر ضبابية من التي تخلينا عنها. إنَّ ضبابية هذه المصطلحات مثل: السلسلة والمتتالية وحتى العبارة تكشف عن صعوبة معالجة هذا الحقل المعرفي، مع أنه لا يمكن أن نطوّر مثل هذه البحوث بصفة علمية ودقيقة دون مفاهيم دقيقة ومضبوطة والبحث عن وحدة فهم تقطيعية نقيس بها فهم القارئ النص.

2-البنية الكبرى .

2-1-محاولة ضبط المفهوم .

لكي يؤسس القارئ بنيته النصية الكبرى لا بدّ أن يكون مستوعبا لأغلبية البنيات الصغرى --- هكذا تبدو لنا المسألة منطقيا--- وهذه البنية الكبرى يفترض أن تكون مكافئة للمعنى الإجمالي للنص أو هي نفسها المعنى الإجمالي، هي بنية صغرى لغويا "عبارة" كبرى دلاليا. كثيرا ما ترادف البنية الكبرى المعنى الإجمالي أو الكلي للنص، هذا المعنى الذي غالبا ما نقيس أو نقدر به مدى فهم القارئ نصه. فأن يفهم القارئ نصه معناه أن يبني تناسقا مميّزا من المحتويات الدلالية وهذا التناسق يكون نتيجة المعارف اللسانية التي يأتي بها النص وكذلك نتيجة الوضعية مثلما يتمثلها القارئ .

البنية الكبرى هي ذلك المحتوى الدلالي الذي يتحصل عليه القارئ بعد الانتهاء من قراءة نصه وفهمه، ذلك أنّ أي نظرية دلالية - ذهنية للنصوص يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الدلالة الكلية للنص، وهذا المستوى هو الذي نسميه بالبنية الكبرى، أو البنية الكلية «la structure globale». هي كذلك "موضوع الخطاب" يقول محمد الخطابي "على لسان "فان ديك" ((أي أنّ بنية كلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما ... بمعنى أنّ كلاً من موضوع الخطاب والبنية الكبرى تمثيل دلالي إما لقضية ما، أو لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله))¹ لذا نرى أنّ مفهوم البنية الكبرى مثلما

¹ - محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

يفسره "الخطابي" فضفاض وغير مضبوط وتعتريه الكثير من العمومية وعدم الضبط. فالبنية الكبرى أو الكليّة إذن ذات تمثيل دلالي إما لقضية ما، لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله. فإن كانت البنية الكبرى تمثيل دلالي لقضايا - خاصة إن افترضنا أنّ حجم النص غير محدد مسبقاً- إضافة إلى مفهوم المتتالية غير المضبوط الذي يوظفه "الخطابي" ويشغل بواسطته ننتهي بالضرورة إلى تعاريف مبهمة، وتصير المعالجة أكثر صعوبة لما تحدّد البنية لأهم بالنسبة للبنىات الأخرى الصغرى التي يتضمنها النص. الأكيد إذن أنّ البنية الكبرى ليست تلك البنىات الصغرى مجتمعة، أي ليست بالضرورة جميعاً لأجزائها مع أنّها لا تستقيم ولا تؤسس بدون هذه الأجزاء، حيث ((يحدد الهام بالنظر إلى الأجزاء التي يتكوّن منها الخطاب وليس باستقلال عنها))¹. فهي "موضوع الخطاب" حسب "فان ديك" وتمثيلاً له، ولكن هو نفسه يرى أنّ هذا المفهوم فضفاض².

البنية الكبرى إذن هي محاولة الإجابة عن أسئلة من نوع: عن ماذا يتحدث النص؟ عن ماذا يتحدث الكاتب؟ ماذا يريد أن يقول الكاتب من خلال النص؟ ما هو موضوع النص؟ ما هي الفكرة العامة للنص؟ وهو السؤال التعليمي الكلاسيكي. نرى إذن كم يمكن لهذه الأسئلة أن تكون متعددة الإجابة، بحيث تصبح البنية الكبرى إجابة عن الفكرة التي يريد أن يوصلها الكاتب، عن الفكرة التي تحملها البنية اللغوية، عن قصيدة الكاتب، عن المرجع الذي يتحدث عنه النص... فهي إجابة عن أسئلة حول الكاتب، حول النص، حول مرجع النص (موضوع الخطاب)، وهي كذلك المعلومة التي يظن القارئ أنّها أهم معلومة يعالجها النص، وبالتالي يفترض إعادة بناءها. فإن أخذنا بموضوع "فان ديك" مثلاً نكون بالضرورة قد حوّلنا النص إلى خطاب، أي أعطيناها وضعية زمنية- فضائية، كما أنّنا نتحدث بالضرورة عن مرجعية الخطاب، أي عن قاعدته الموضوعاتية، حيث تعطى في هذه الحالة الأهمية إلى الموضوع المتحدث عنه ويهمل بالضرورة شكل النص الذي كنا نظن أنّه يؤثر بدوره على قراءة النص. كما تهمل بالضرورة كيفية القول. و تعود المرجعية حسب

¹ - نفسه . ص . 45 .

² - نفسه . ص . 42 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

"فان ديك" من جديد بعد أن أهملت مدة طويلة من طرف الدرس البنيوي الذي نظر إلى النص على أنه ليس موضوعا، ليس قصدا وليس توصالا، ولكنه نسيج لغويا بالدرجة الأولى.

كما تبقى كذلك الفكرة العامة المستنتجة من طرف القارئ فكرة مبهمة غير واضحة، هي الفكرة الأساسية بالنسبة للأفكار الثانوية، أي غير الأساسية ومع ذلك تبقى المراجع الحينية المتواجدة داخل النص ضرورية لأجل التحكّم في أجزائه المعزولة، التي هي في حاجة أحيانا إلى اللاتداولية «dépragmatisation»¹، فالمرجعية إلى العالم الخارجي هي التي تعطي تداوليته ويتحصل القارئ على المعنى الإجمالي عندما يترك قراءة لأجل قراءة أخرى يراها أكثر ملائمة، وهي أهم إستراتيجية لأجل استيعاب المعنى الإجمالي للنص، وتضمنت الفكرة بحوث "فرانس روتن" «Frons Rutten». إنّ البنية الكبرى تبقى هشّة وغير مكتملة أثناء فعل القراءة وغير مستقرة، تظل فكرة مؤقتة تخضع من حين لآخر لتأويلات متعددة وكثيرة.

تبقى نعوت البنية الكبرى متعددة، لقد سميت من طرف "إيكو" بعد "فان ديك" بالقطب «topic» المصطلح الذي يكون "إيكو" قد استقاه عن «Isotopie»، يطلق بعد ذلك "إيكو" على هذه القطبية تسمية "التناسق التفسيري" لأجل تبين عدم كفاية التجميع الجملي ومعالجة تلك الجمل النصية معزولة عن بعضها البعض، وخاصة لأجل التأكيد على عدم كفايتها دلاليا. إنّ هذه "القطبية" هي التي توجّه فهم النص، أي توجّه القارئ نحو الفكرة "القطب". تعالج البنية الكبرى في هذه الحالة معالجة قطبية بالمفهوم الفيزيائي - السيميائي، إذ غالبا ما يتحدث الباحثون الذين عالجوا المسألة من الزاوية القطبية عن المرور من القطب التكويني إلى القطب الأكبر الذي يعرفه "دوفاي" «Dufays» على الشكل التالي: ((القطب الأكبر هو الذي يجمع بطريقة متناسقة كل الافتراضات الدلالية الجزئية))²، ذلك أنّ فعل القراءة حسب "دوفاي" هو مجرد ترك افتراض

¹ - Jean- Louis Dufays: stéréotype et lecture . Mardaga Editeur . Liège .1994 .p.140 .

² - ibid. . p . 144 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

لأجل افتراض آخر. إنّ النصوص متعددة الأبعاد بالضرورة لذلك فإنّ تطوير الفرضيات الدلالية يتمّ دائما على مستويات متعددة في آن واحد، بحيث يفترض أنّ **القطبية الكبرى** «la macrotopie» تكون جامعة بطريقة تناسقية لكل الافتراضات الدلالية الجزئية . يسلك إذن "دوفاي" نفس مسلك "إيكو" كي يطوّر تعريفا أو مصطلحا للبنية الكبرى بالمفهوم القطبي، ويرى أنّ الدافع لقراءة النص هو الذي يوجه عملية الفهم نحو قطب معيّن دون غيره من الأقطاب الأخرى، ويسميها بالقطب الأكبر والقطب الأصغر وهي مفاهيم ذات أبعاد دلالية فيزيائية الأصل . المفهوم نفسه يأتي به "راستي" - فحتى وإن كانت مقاربات كلّ من "راستي" و"قريماس" و"إيكو" و"دوفاي" تهمّ النص السردي بالدرجة الأولى غير أنّه يمكن تطبيق الكثير من مبادئها على قراءة النصوص عامة - تفترض هذه المقاربة أنّ الكاتب نفسه ينطلق من قطب معيّن ويختار مميّزات أو سمات دلالية --- لكسيمات عند "راستي" ---، أو وحدات دلالية دنيا كي يؤسس في النهاية تناسقا تفسيريا بمفهوم القطب . فالبنية الكبرى إذن ذات بعد تقاطبي دلالي بالمفهوم السيميائي، غير أنّه في هذه الحالة يمكن أن تطرح إشكالية التعددية القطبية والأهمية التي يعطيها القارئ للعبارات أو الكلمات المتضمنة في النص . إنّ البنية الكبرى بالمفهوم البراغماتي هي كذلك "البنية - الفعل" «macro-acte»، أي التي تتضمن بالضرورة الفعل الأكبر، هذه الأفعال التي تعطى بطريقة مباشرة كما يمكنها أن تعطى بطريقة غير مباشرة، أي يمكنها أن تشتق عن أفعال أخرى ثانوية .

لقد تحدث الباحثون كذلك عما يسمي بالبعد المحلي - النصية الصغرى - والبعد الثاني هو النصية - الكلية أو الإجمالية، وفي هذه الحالة يمكن الرجوع إلى كثير من الاقتراحات التي جاء بها كلّ من "فان ديك" و"كينش"، وإن تحدثنا عن النصية - اللسانية يمكن الرجوع إلى "هليداي" و"رقية حسن" وكذلك "لونغ" «E.Lang»، أو حتى "ريكور"، حيث ((أنّ دلالة النص - المعلومة التي يأتي بها النص - هي الكلّ الذي يتجاوز مجموعة

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

"- أو قائمة - دلالة الوحدات المكوّنة له)¹. أما ن المنظور البنائي - الهيكلية فهي المخطط البنائي الأكبر « plan macrostructurel » .

2-2 - الجشطالتيّة وتأسيس الكليّة .

لقد ساعدت كثيرا المدرسة الألمانية الجشطالتيّة على تأسيس مثل تلك الوحدات الكبرى، أو النظرة الكليّة إلى الأشياء والعالم بشكل عام، فهي النظرية التي لا تؤمن إلا بالكل «le tout»، هي التي تبني الكليّة «la globalité» وتقول أنّ الذهن يكمل بطبيعته الناقص لأجل أنّ يدرك الكلّ المتكامل، الذهن يفترض الأشياء كاملة . لننظر إلى الشكل التالي:

¹ -Jean- Michel Adam: le texte descriptif . p . 87 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

β β

β β

إنّ الذهن يربط تلقائيا الزوايا ويجعل منه شكلا مربعا، ذلك أنّ النظام الإدراكي يدرك أولا الأشكال «les formes» باعتبار الشكل هو المكوّن للفضاء، وهو أول ما يدرك قبل المحتوى أو المضمون. يكمل المشاهد إذن الشكل السابق علي أنّه مربع لأنّ بنيته الذهنية قد ألفت ذلك الشكل - البنية. إنّ النظرية الإدراكية الجشطالتية تؤكد خاصة على الشكل الجيّد وتعتمد وهم الصورة، أو وهم الشكل، ذلك أنّ الذهن لا يمكن أن يتصور أشياء العالم دون أشكال، والأشكال التي يصعب تكملتها هي الأشكال غير المألوفة التي تبدو غريبة لدى المشاهد . إنّ هذه النظرة ليست بسيطة في الواقع بل هي نظرة تؤثر على التفكير الإنساني بشكل عام . لقد اعتبرت "الجشطالتية" الشكل أحد وسائلها ومفاهيمها الأساسية في التحليل، وأحد وسائلها التصنيفية، فالإنسان يصنّف ويشكّل الأشياء كي يحسن التفكير . وبالتالي تكون البنيات الكبرى بنيات ذهنية وتمثلات تؤسسها عن العالم وعن النصوص التي نقرأها كذلك .

لقد جاء "كوهلير" «Köhler» بنظرة يؤكد فيها أكثر على الحواس ويفضل معالجة الإجراءات الحسية ويراها أكثر ضمانا وأكثر تأكيدا من بديهيات النظرية الآلية، يؤمن "كوهلير" بما يسميه بالتجربة الساذجة وظيفية أساسية للحواس، ويحاول أن يربط ذلك مباشرة بالعلوم الطبيعية، كما يرفض الوقوع في الذرية «l'atomisme»¹ لأنّه لا يؤمن بالجزئية وإنما يؤمن بالكلية أو الإجمالية ويتحدث عما يسميه بالحقل الكلّي. كما يؤمن كذلك "كوهلير" بالحدس نوعا من التجربة، تلك المعرفة الضمنية التي لا تأتي بالصدفة والتي كثيرا ما يستعين بها القارئ لأجل تأسيس البنية الكبرى. إنّها معرفة ناتجة عن تجارب صريحة وغير صريحة، قديمة أو جديدة، نتيجة تجربة حياة غامضة.

¹-Köhler Wolfgang: psychologie de la forme . Gallimard Editions . 1964 . p . 322 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

إنَّ حصول القارئ على البنية الكلية لا يخلو في الكثير من الأحيان من المعرفة الحدسية، فالحدس يلعب دورا كبيرا في اختيار بنية كبرى دون غيرها من بين الاختيارات المتعددة التي يمكن أن يعطيها النص الواحد، الحدس إذن عنصر مهم في تأسيس البنية الكبرى، يقول "كوهلير": ((كلّ شيء يصير - يجعل - الاقتناع الساذج عنصرا أساسيا داخل العلوم النفسية والعصبية والفلسفية المعاصرة))¹، خاصة منها العصبية المرافقة للتجربة .

2-3- الأحكام الحدسية للتناسق النصي .

أن يتحصل القارئ على بنية كلىّة معناه أن يؤسس بنية دلالية متناسقة، فللقارئ كفاءة تناسقية تسمح له بإنجاز خطابات متناسقة، كما تمكّنه من إصدار أحكام على خطابات الآخرين بالتناسق أو بعدم التناسق، إنّها أحكام تناسقية بإمكان أي قارئ أن يصدرها على أي نص هو بصدد قراءته، لقد صنّف كلّ من "إ. رابول" و"جاك موتشليير" "A.Reboul" "Moeschler" في كتابهما المعنون ب «*pragmatique du discours*» الخطابات حسب تناسقيتها إلى أربعة أصناف وربطها ذلك بحضور أو غياب علامات الانسجام .

- هناك خطابات متناسقة مع وجود علامات الانسجام .

- هناك خطابات متناسقة بدون أي علامات انسجام .

- هناك خطابات غير متناسقة مع وجود علامات الانسجام .

هناك خطابات غير متناسقة مع عدم وجود علامات الانسجام² .

فعلا إنّنا في غالب الأحيان ما نحكم على تناسقية النصوص بواسطة وجود أو عدم وجود علامات الانسجام، أهمها الروابط بين العبارات أو بين الفقرات . لكن باستطاعة القارئ أن يحكم على النصوص بالتناسق بدون علامات الانسجام، كما أنّه بإمكانه أن يحكم بعدم تناسقية النصوص رغم توفر علامات الانسجام . لذلك نقول أنّ هناك كفاءة

¹ - ibid. p. 323 .

² -Anne Reboul et Jacques Moeschler: *pragmatique du discours* . Armand Colin Paris . 1998 . p .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

نصية تناسقية ضمنية تسمح للقارئ بإصدار أحكام على النصوص، أي أنّها تسمح للقارئ بالتفريق بين النص وللانص حسب مفهوم "هليداي". ففي هذه الحالة القارئ يكون قد رجع إلى حدسه بالضرورة لأجل بناء بنية كبرى، أي أنّه لا توجد علاقات استلزامية بين وجود علامات التناسق ونصية النص أو تناسق الخطاب¹. ومن هذا المنطلق يمكن معالجة المعرفة الحدسية معرفة أساسية في فهم النصوص وتأسيس البنية الكبرى لها، ذلك أنّ تأسيس تلك البنية يفترض استيعاب القارئ استيعاباً جيّداً لنصه، أي على كليته وليس على أجزائه فقط. فهي معرفة ضمنية بالنصية، أو كفاءة ضمنية نصية² مثلها مثل الكفاءة اللسانية. يرى الكاتبان السابقين الذكر أنّها كفاءة تتوفر لدى أصحاب اللغة الأم على وجه الخصوص، لكن يمكن القول أنّه يكفي التحكّم في أي لغة كانت وممارستها بعفوية مثل ممارسة قراءة النصوص كي يكتسب القارئ تلك الكفاءة التناسقية - النصية مثلما سبق له وقد اكتسب الكفاءة اللغوية، كي تصير بعد ذلك معرفة ضمنية حدسية. لقد أسس الحدس التناسقي مثلما سبق لـ "شومسكي" وأسس الحدس النحوي وجاء بمفهوم النحوية الذي قد لا يستند على القواعد الصريحة وإنّما على معرفة تجريدية ضمنية، أي حدسية كذلك ((وبالتالي فإنّ الحكم الحدسي للمتكلمين هو الذي يسمح بتحديد مجموعة القواعد التي يجب على الجملة أن تحترمها كي تكون نحوية))³ إنّ ما قيل عن النحوية يقال كذلك عن التناسق، إذ أنّ مجموع المتكلمين للغة وبدون ذكر للقواعد التركيبية بإمكانهم قبول أو رفض جمل على أنّها مقبولة أو غير مقبولة داخل لغة ما. فكذلك القارئ بدون أن يذكر القواعد الخطائية بدقّة فإنّه بإمكانه قبول أو رفض خطابات على أنّها متناسقة أو غير متناسقة. غير أنّ هناك من يفرق بين الكفاءة النصية والكفاءة؟ظة الخطائية بحيث أنّ

¹ -ibid. p. 63.

² - فيما يخص الكفاءة النصية والكفاءة الخطائية يمكن الرجوع إلى "ميلود حبيبي" في: الاتصال التربوي وتدرّيس الأدب، دراسة وصفية - تصنيفية للنماذج والأنساق. الطبعة الأولى. المركز الثقافي بالدار البيضاء بالمغرب. 1993.

³ -Anne Reboul et Jacques Moeschler. p. 64.

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

الكفاءة الخطائية تفترض فهم ملابسات خارج البنية النصية اللغوية . إذ أنّ القارئ لما يحاول إعطاء البنية الكلّية فإنّه يتجاوز بالضرورة خطابه أو نصه، فالكفاءة الخطائية تعطي النصوص أبعادها التداولية، ومن الذين عالجوا التناسقية الخطائية "كلورس" «Charolles» 1978 وكذلك "بوبر" «Popper» .

2-4- المفترض والمستنتج .

إنّ تأسيس البنية الكبرى للنص تتطلب من القارئ قراءة وفهم الصريح والضمني على السواء حتى في حالة قراءة النصوص غير الأدبية . فالبنية الكبرى لا يمكن الحصول عليها إلا باستيعاب المغيب على السطح النصي . إنّ "أرو خيوني" لما تعالج الضمني تؤمن أنّنا لا نمارس الكلام المباشر أو الصريح إلا نادرا، فكلامنا اليومي أغلبه ضمني¹ ومتضمن بالضرورة في المسكوت عنه. إذ أنّ ((المعنى لا توجد له حقيقة أخرى غير الذهني))² فالمعنى ليس حقيقة خارجية بقدر ما هو تصورات وتمثلات ذهنية. الصريح ناتج عن مكونات الخطاب، أي أنّنا نربط المعنى بوحدة لغوية معينة داخل النص، فالقارئ في هذه الحالة قد يرجع إلى الذاكرة القاموسية التي تصورها كلّ من "ج كروا" و"أ كولين" على شكل شبكي. الصريح نوع من الدلالة المستقرة المتواضع عليها داخل المجموعة اللغوية أما الضمني فيقول عنه "كستين بيلو" ((يجب أن نتكلم عن المعنى الضمني عندما يكون معنى أو جزء من الخطاب لا يمكن أن يرجع إلى الكلمات أو العلامات الصوتية أو الغرافية المكوّنة للملفوظ))³.

إنّ ما يمكن ملاحظته أنّ المعنى الإجمالي للنص هو أكثر من النصية، فالسؤال المهم إذن من أين يأتي القارئ بالإضائي؟ كيف يفهم القارئ شيئا آخر غير الذي يعطيه النص؟ الضمني يمكن أن يكون استنتاجا، نتيجة منطقية لكلام سابق، مفترض لم يعطه النص

¹ - تنظر

Orrechionnie . C . Kerbrat: l' implicite . Armand Colin .Paris .1986 .

² -Christian Baylon et Xavier Mignot: sémantique du langage: Initiation ; sous la direction de H ; Mitterrand ; éditions Nathan / Her . 2000 .P .151 .

³ -Christian Baylon: p 152 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

صراحة، كما يمكن أن تكون مقاصد الكاتب المخفية، أفعال كلامية غير مصرح بها، القصد الذي أنجز الكاتب لأجله النص.

لقد عالج "جون كروا" «J. Caron» المفترض «le présumé» داخل إطار منطقي وأدرجه ضمن مسألة إعطاء قيمة حقيقية للخطاب، وربط علاقة اللغة بالمنطق وبدأها من الدراسات التي قدمت من طرف "فريج" 1892 وطوّرت فيما بعد من طرف "روسل" 1902 وكذلك "سطراوشن" 1950، حيث يتحدث مثلا "فريج" عن الفرق بين ما يعنيه الخطاب (معناه) والذي يفترضه. يقول "سطراوشن" 1954: ((عبارة س تفترض عبارة س¹، وبهذا المعنى فإن حقيقة س¹ شرطا مسبقا لحقيقة أو كذب س)).¹ إنّ المباحث التي تهتم بفلسفة اللغة مباحث قديمة ازدهرت خاصة عند الألمان وبالتالي ((تبدو الافتراضية على أنّها ليست مشكّلا منطقيا فقط وإنما ظاهرة دلالية أصلية وأصيلة التي تتطلب تحليلا أكثر عمقا)).² جاءت بعد ذلك دراسات كلّ من "أوستين" و"فلمور" 1969 كي يصبح بعد ذلك المفترض شرطا أساسيا من شروط الفعل الكلامي لأجل فهم الكثير من الجمل بل أصبحت ضمن القوانين الكلية، بحيث يصعب أحيانا تصوّر قراءة أي نص دون وضع مجموعة من الافتراضات. كما أدرجت أعمال "جيكرو" لسنة 1972 ضمن هذا الموضوع، حيث يؤكّد من خلال أعماله تلك أنّ مسألة الافتراض هي ظاهرة تابعة للغة وليست تابعة للكلام، بالتالي تصبح الافتراضية مكوّنا لسانيا «un composant linguistique» يسمح بإعطاء الملفوظات أوصافها الدلالية خارج أي سياق كان. لقد بيّن "جوكرو" أنّ الدلالة لا يمكنها أن تستغني عن المفترض فهو ليس مكوّنا بلاغيا بقدر ما هو مكوّن لغوي. ((إنّ أهمية مفهوم الافتراض هي أن تدخل في اللغة ذاتها الضمني الذي كنا نظن لحدّ الآن أنّه خاص بالخطاب))³ بحيث يصبح المفترض ليس مجرد معلومة ترافق الخطاب، بل أنّها فعل قضوي، فهو شرط حوارى وضرورى لأجل استمرار الحوار بين شخصين كما هو

¹ - Jean Caron: les régulations du discours psycholinguistique et pragmatique du langage .P .U .F . 1^{er} Edition .1983 . p .82 .

² -ibid . p . 82 .

³ -ibid . p . 84 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

ضروري لأجل فهم النص واستيعابه. إنّ المفترض ليس معلومة يعطيها النص وإنما يعطيها الخطاب الذي يقدمها بطريقة ضمنية.

المفترض نوع من المستنتج فا ((كلّ متكلم للغة لديه قدرات استنتاجية))¹. إنّ متكلم اللغة وممارسها بشكل عام يقول شيئاً لأجل قول شيء آخر يخفيه وذلك حتى خارج الكلام الاستعاري، كأن تقول العبارة النتيجة لأجل استخلاص المسبب، أو تقول المسبب لأجل استخلاص النتيجة. إنّ قارئ النص يقوم باستنتاجات بالضرورة، وهو في تلك الحالة يعتمد كفاءتين أو نوعين من الكفاءات: الأولى يمكن اعتبارها كفاءة منطقية، أي القدرة على التفكير والكفاءة الأخرى موسوعية، أي المعارف المخزنة التي يكون قد اكتسبها منذ مدة. ففي حالة عدم الاستنتاج يمكن القول بعدم الفهم، ذلك أنّ القارئ لم يستوعب المقدمة كي يستخلص النتيجة. وبطبيعة الحال فإنّ هاتين الكفاءتين غير متساويتين لدى جميع القراء لذلك يفترض ألا يستنتج كلّ القراء الاستنتاجات نفسها، حيث أنّ بعض الاستنتاجات التي تفرض نفسها على بعض القراء قد لا يراها البعض الأخر. فبماذا ترتبط هذه الكفاءات إذن؟ هل ترتبط بالقدرة العقلية المنطقية أم ترتبط بالقدرة أو المعرفة اللغوية؟ وهل توجد لدينا مقاييس لأجل تقييم هذه القدرات الاستنتاجية؟ ذلك أنّه يمكن القول أنّنا نعثر على قراء يستنتجون أو يستخلصون نتائج غير منتظرة نهائياً، لذلك نقول إلى أي حدّ يدخل كلّ من المفترض والمستنتج ضمن المعنى الذي يحمله الخطاب؟ وإلى أي حدّ يمكن للقارئ أن يذهب في استنتاجاته؟ لقد سبق لـ "ريفاتير" وأن عالج في كتابه "الأسلوبية البنيوية" ما سماه بالقارئ المتفوق، حيث أنّ القارئ في هذه الحالة ينزل ثقافته الواسعة على النص. فهل هذا النوع من القراء يتجاوز بالضرورة المعنى المفترض في النص؟

المستنتج يفترض بالضرورة كفاءة معرفية مسبقة لدى القارئ، كقولنا لأحد الأشخاص وهو يتأهب للسياسة: إنّ الطريق المبللة فهي جملة تعني: كن حذراً. هذه الجملة تفترض أنّ السائق عارف بأنّ الطريق المبللة تسبب انزلاق السيارات. ومثلها كذلك العبارات المسكوكة التي ترتبط بثقافة المجموعة اللغوية. بالتالي هل يمكن أن يدرج المفترض

¹ - Christian Baylon . p.155 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

والمستنتج ضمن النظام اللغوي بدلا أن ندرجه ضمن الكلام؟ المستنتج مخزن في الذاكرة بالدرجة الأولى، قد يأتي به القارئ من معرفته حول العالم الذي يعيش داخله . هو كذلك ضروري لأجل بناء التناسق النصي، بل يمكن اعتباره حتى ضروري لأجل تأسيس نصية النصوص. المستنتج والمفترض ضروري لأجل بناء تمثّل ذهني - نصي متكامل لدى قارئ النص، ومع ذلك يظل الأهم هو البحث عن تلك الأنشطة الذهنية التي تنتج أثناء سير مرحلة القراءة¹. على القارئ في هذه الحالة أن يبيّن معلومة لم تعط له بطريقة صريحة ولم يعثر لها على بنية لغوية، بل معناها متضمن في العبارة المسكوت عنها، ومع ذلك على القارئ الحيّد أن يستحضرها ضمن معنى النص المقروء. ربما يظل المعنى المستنتج أهم فيما يخص دلالة النصوص والحصول على البنية الكبرى من الصريح لأنّه في الواقع هو المقصود حتى وإن أخفاه الكاتب، لذلك يمكن أن تدرج القصدية ضمن أهم الأسس الإجرائية لأجل الحصول على البنية الكبرى للنصوص. فإن لم يتوصل القارئ إلى استنتاج الضمني، أو الذي يفترض استنتاجه يمكن اعتباره غير فاهم لنصه وغير مستوعب له. إنّ المستنتج غالبا ما يكون معرفة حول العالم أي حول المرجع. لذا يبقى الحديث عن موضوع النص مهما لا يمكن إهماله أثناء معالجة عملية فهم النصوص، بما فيها الطريقة التي يتمثل بها القارئ ذلك العالم والنص والمقروء. ومع ذلك يظل كلّ من المفترض والمستنتج ضمن المحتمل غير المؤكد، فلماذا يستنتج القارئ استنتاجا دون غيره؟ الأکید أنّها معرفة تنتمي أكثر إلى عالم القارئ أكثر مما تنتمي إلى عالم النص حسب مفهوم "بول ريكور"، لذا يمكن اعتبار فعل القراءة بمثابة عقد، حيث يوضع القارئ داخل مشكلة ويقوم هو نفسه بحساب الميز أو التمييزي داخل النص، أي أنّ القارئ يعيد في الكثير من الأحيان بناء المفقود أو الحلقة المخفية في النص، وهو ما يطلق عليه "كلارك" « Clark » تسمية «bridging»، مثل:

لقد زار مطعم الرحمة أمس أكثر من 100 شخص في هذه القرية.

المستنتج إذن أنّ القرية يوجد بها الكثير من الفقراء . إنّ المفترض والمستنتج يمكن معالجته معرفة مشتركة بين المتكلمين. فهو المعرفة المحصلة سابقا توظف لأجل استنتاج

¹ -Jean Caron . p . 155 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

معلومة جديدة، فالذي يتكلم عنه هو القدم والذي يقوله النص عن الموضوع هو الجديد. ومع ذلك فقد قدمت دراسات من طرف "فرايس" بيّنت أنّ فاعليهم يتعرفون على جمل ليست معروفة سابقا ولكن يمكن أن تشتق عن تلك المعطاة أو المقدمة، أي يمكن اعتبارها بمثابة معرفة جديدة مشتقة خلال لحظة القراءة. أخيرا يمكن الانتهاء إلى الثنائيات التالية:

المعطى / الجديد.

الموضوع / التعليق أو وجهة النظر.

الصريح / المفترض.

فهل يمكننا كتابة قوانين الاستنتاج على شكل رياضي؟ هذا ما يمكن أن تكشف عنه دراسات مستقبلية، ذلك أنّ دراسة كلّ من المفترض والمستنتج دراسة شقيقة وتستدعي الكثير من الاهتمام ومع ذلك لم تعط أهمية أثناء تأسيس القارئ للبنية الكبرى لنصه المقروء

2-5- القصدية الإجمالية .

إنّ القارئ وهو يقرأ النص يحاول في الواقع الإجابة عن أسئلة كثيرة يطرحها على النص أو على الكاتب، أهمها ماذا يريد أن يقول الكاتب من خلال النص؟ سؤال يبحث عن قصدية أو نية الكاتب. ((الفهم إذن هو التعرّف على قصدية الكاتب))¹ إنّ للقارئ قصدية القرائية كذلك للكاتب قصدية الكتابية يجب البحث عنها لأجل الحصول على البنية الكبرى للنصوص. هذه القصدية يمكن للكاتب أن يظهرها على المستوى السطحي للنص كما يمكنه أن يخفيها كذلك، بالتالي تتم معالجتها ضمن المسائل المعالجة سابقا من ضمنية واستنتاجية. فكلّ قارئ يحاول تأسيس البنية الكبرى إلا وهو باحث عن قصدية الكاتب. لذا يمكن معالجة البنية الكبرى داخل إطار القصدية سواء من الناحية الفلسفية عند "جون سورل"، أو من وجهة النظر الحوارية عند "قرايس".

تبدو معالجة القصدية متفرعة ومتعددة التوجهات، فهناك من يتحدث عن القصدية الإعلامية، التواصلية، الطبيعية، غير الطبيعية، المحلية، الإجمالية أو الكبرى فحسب

¹ - ibid. . p . 117 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

مؤلفي كتاب «pragmatique du discours» أنّ القصدية الإعلامية قصدية محلية،
فلكلّ عبارة مثلاً قصديتها المحلية وهي قصدية إعلامية في غالب الأحيان، مثل:
-عمر غائب هذا الصباح عن عمله.

تحتوي العبارة على ثلاث معلومات تعطيها التسلسلية الكلامية داخل النص المقروء،
إذ الكاتب يعطى ثلاثة أخبار، أي ثلاث مقاصد إخبارية محلية، وهي:
-غياب عمر.

-الزمنية، هذا الصباح.

-عن العمل.

ومع ذلك فإنّ للكاتب قصدية أخرى إجمالية كبرى يطمح إلى توصيلها من خلال
كلّ نصه «une intention globale»¹ يمكنها أن تكون قصدية إعلامية كبرى. إنّ
هذه القصدية الكبرى ليست مجموع للقصديات المحلية مجملة، حيث أنّ القصدية الكبرى
تكون أكثر تعقيدا بالنسبة للقصديات المحلية وأنّ نجاح فهم القارئ يكمن بالدرجة الأولى
في الحصول على القصدية الكبرى. ولعل القصديتان الطبيعية وغير الطبيعية متضمنتان
داخل القصدية التواصلية، ذلك أنّ الفعل التواصلية فعل تعريفية، إخباري، إشاري،
استنتاجي كذلك. إنّ الحصول على هذه القصدية الإجمالية - الإشارية - الاستنتاجية
ترجع بالدرجة الأولى إلى كفاءة قارئ النص - أي محاولة القارئ استرجاع القصدية
الإعلامية للمتكلم - الكاتب².

إنّ قصدية الكاتب تكون في أغلب الأحيان افتراضية يؤسسها القارئ يمكن أن
تثبت أو تدحض أثناء الاستمرارية القرائية وغالبا ما تكون فرضية القارئ فرضية إجمالية غير
محلية وكأنها تبدأ قبل مباشرة فعل القراءة حسب حاجته من قراءة ذلك النص، وحسب
المعطيات المسبقة التي يمتلكها عن النص، أو عن الكاتب، عن معرفة السياق العام الذي

¹ -Anne Reboul et Jacques Moeschler . p . 158 .

² -ibid. p . 160 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

كتب فيه النص ... هي معطيات تبدو ثانوية بالنسبة للبنية النصية الداخلية ولكنها جدّ مؤثرة في البحث عن القصديّة الإجمالية.

في الواقع نحن لا نمتلك كثيرا من المعلومات حول كيفية تأسيس القارئ لهذه الفرضيات المسبقة التي يقرأ بواسطتها النصوص، كما لا نملك كذلك معلومات كثيرة حول الأسئلة المفترضة المسبقة التي يضعها القارئ قبل مباشرة قراءة نصه¹. إذ الكثير من التساؤلات حول المسبق ما تزال غامضة ومبهمة: كيف يتساءل القارئ؟ ما هي السوابق المعرفية التي تجعله يطرح ذلك التساؤل دون غيره؟ هل تتغيّر هذه التساؤلات حسب النصوص؟ حسب السياقات؟ حسب الأهداف القرائية؟. هل نحن نبالغ في البحث عن قضايا قد لا تخطر ببال القارئ إطلاقا؟

إنّ المقاصد المحلية عملية يصعب تصوّرها، فهل أنّ الكاتب يتوقف من حين لآخر كي يعطي قصديّة محلية وما على القارئ إلا أن يفعل كذلك لأجل الحصول على القصديّة الكبرى؟ لعل القارئ يتوقف ليؤكد على ما يراه مهما أكثر من غيره أي أن يبرز التمييزي في النص ويخرجه عن باقي السلسلة العباراتية. يشعر القارئ أنّ هناك كلاما مهما يجب التوقف عنده تحتفظ به الذاكرة ويمكن للقارئ أن يصنع منه قصديّة محلية أو صغرى ويحتوى النص على قصديات صغرى كثيرة أو محلية ميزتها الأساسية أنّها لا يمكن أن تستقل بنفسها، وأنّها تخدم القصديّة الكبرى أو الإجمالية التي يمكن اعتبارها قصديّة ضمنية يستقيها القارئ عن القصديات الجزئية ولكن لا تسترجع أثناء القصديّة الكبرى إلا القصديات التمييزية فقط. جاء في مؤلف «pragmatique du discours» ((إنّ المتلقي الذي يبحث عن تأويل خطاب ما، يبحث في الواقع عن بناء قصديّة إعلامية، إجمالية، وينتظر من الكاتب أن يسعفه في ذلك. فالمساعدة التي يمكن للكاتب أن يقدمها تسمح بتقليص كلفة تأويل الخطاب. ومن هذا المنظور، فإنّ الفرضية الأكثر تمييزية حول القصديّة الإعلامية الإجمالية للمتكلم تكون هي الأسهل تحصيلًا نظرا للمعلومات التي سبق للمتلقي أن تحصل عليها

¹ - لقد أكدت الكثير من الدراسات التي تناولت نظرية القراءة الأدبية أنّ القارئ لا يباشر النص حاوي الذهن أبدا، بل ينطلق دائما من معروف مسبق، إشهار، دراسات نقدية

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

أثناء تأويل الملفوظات السابقة¹ يشتغل ذهن القارئ إذن في غالب الأحيان بطريقة استنتاجية كي يتحصل على بنية خطائية منطقية متناسقة لغويا وكذلك قصديا، حيث لا يجب أن تناقض قصدية محلية القصدية الكبرى أو الإجمالية.

إنّ كلّ خطاب في الواقع يحمل قصديتين، الأولى إعلامية أما الثانية فهي مخفية في ذهن الكاتب قد لا يكشف عنها النص أو الخطاب بطريقة مباشرة بل ضمنا، فمستويات المقاصد متعددة مثل مستويات الدلالات. القصدية الكبرى تمارس بعض الرقابة على القصديات الصغرى، أما التوفقات القرائية التي يجربها القارئ من حين لآخر فهي بمثابة القصدية الواسطة ما بين الصغرى والكبرى، هي التي تمرّ المحلية إلى الكبرى. القصدية الصغرى لا يمكن أن تحدّد إلا من خلال الكبرى وأنّ الكبرى لا يمكن أن تستنتج إلا من خلال الصغرى وإن كانت ليست تجميعا لها، فكلاهما تخدم الأخرى بالضرورة.

2-6- القواعد الكبرى .

لما يحاول القارئ تأسيس بنيته الكبرى يكون قد افترض، استنتج، وظّف حدسه وكفاءته النصية - الخطائية - التناقضية، مطبقا لإجراءات لغوية - ذهنية خاصة قصد الحصول على البنية الكبرى أي "موضوع الخطاب" حسب "فان ديك". ولعل أهم هذه القواعد: الحذف.

إنّ لكل قارئ ولكل نص بنيته الكبرى الخاصة به . يقول "الخطابي": ((وأنّ القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلّها في سمة الاختزال. على أنّ البنية الكلية ليست شيئا معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإتّما هي مفهوم مجرد (حدسي) تتجلى به كلية الخطاب ووحده²). فقانون الاختزال إذن هو أهم القوانين اللغوية-الذهنية التي يتحصل بواسطتها القارئ على بنيته الكلية، أي على نصه مقلّصا إلى أقصى درجات التقليل.

¹ - Anne Reboul et Jacques Moeschler . p . 165 .

² - محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. ص 46 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

لقد طوّرت مثل هذه المعالجات النصية على يد "فان ديك" و"كينش" وخاصة "ديك" 1980 الذي سمى تقنيات المعالجة النصية- الذهنية الممارسة أثناء عملية القراءة والفهم **بالقواعد الكبرى** «les macro- règles». واعتبر **الحذف** ضمن أهم هذه القواعد الكبرى، أي أنّ قارئ النص يحذف كلّ ما يراه غير تمييزي ويتمكن من الاستغناء عنه وهو يحاول تأسيس بنيته الكبرى. يطلق أحيانا على هذه القواعد - **القواعد الصارمة** - فالقواعد الحذفية تساعد على حذف العناصر التي قد تكون تمييزية على المستوى المحلي ولكنها ليست ضرورية لأجل التفسير الإجمالي للنص.

الحذفية إذن تتضمن حذف معلومات دلالية من النص ويعطي "فان ديك" هذه القواعد الكبرى الاختزالية التي يأتي بها "محمد الخطابي" على الشكل التالي:

- العملية الأولى وتكتب على الشكل التالي: $fx \text{ and } gx$

وتتضمن العملية بالضرورة حذف المعلومات غير الأساسية، أو ما يسمى بالمعلومة العرضية غير أنّ هذا النوع من الحذف لا يؤثر في تأويل العبارات المتعاقبة في الخطاب، والمعلومات التي تحذف في هذه الحالة الأولى تكون غير قابلة للاسترجاع، ففي هذه الحالة تكون: gx هي المعلومة الثانوية أو الطارئة التي يمكن للقارئ الاستغناء عنها دون أن يكون لها تأثيرا على تأسيس دلالة الخطاب، وهي المعلومات التي لا تسترجع عند تأسيس القارئ للبنية الكبرى للخطاب .

- العملية الثانية: $< fx \text{ and } gx \text{ et } hx >$

في هذه الحالة تحذف معلومات أساسية، أي معلومات بنائية. وهذه المعلومات خاصة بإطار معيّن دون غيره، أي أنّ المعلومات المحذوفة تحدّد أسباب ونتائج الأحداث

العادية والمتوقعة، غير أنّ هذه العملية يجعل لها الشرط أو القانون الشرطي التالي:

$gx \text{ } \square \text{ } < fx \text{ et } gx \text{ et } hx >$

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

ويدل هذا الشرط أنّ الأحداث أو الوقائع hx et fx تسترد مع gx البنية الكبرى في معظم الحالات، فالمعلومة المحذوفة قابلة الاسترجاع¹. تأخذ هذه العملية إذن شكلا رياضيا مجردا مع أنّها إجراءات عقلية- ذهنية- لغوية.

- العملية الثالثة تأخذ الشكل التالي: $\langle fx \text{ et } gx \rangle$ ويسمى هذا النوع من العمليات بالتعميم البسيط، حيث تحذف هنا معلومات أساسية وهي حسب "فان ديك" انتقال من الخاص إلى العام، ويطلق عليها أحيانا **قواعد التعميم**، كأن تعوّض مجموعة عبارات بواسطة عبارة واحدة بحيث تكون العبارة الصغيرة متضمنة لعبارات متعددة، فعبارة:
-الأطفال يلعبون . يمكن أن تتضمن:

- جون يلعب بالكرة.

- ماري تنيم لعبتها.

- بيار يبني قصرا².

فالمحذوف هنا غير قابل للاسترجاع ذلك أنّ العبارة: الأطفال يلعبون - تعوّض بالضرورة العبارات السابقة الذكر دون أن يخلّ ذلك بالمعنى، فهي إذن معلومات غير قابلة للاسترجاع وتعمل تحت الشرط التالي:

$$\square \rightarrow (fx \quad hx) \square \rightarrow gx \rightarrow hx$$

إنّ الشرط العام الذي يؤكد عليه "فان ديك" لأجل إجراء العمليات الثلاثة التي ذكرها "الخطابي" هو ((عدم إمكان حذف قضية سابقة تقتضيها قضية لاحقة))³ وذلك حفاظا على التطورية المنطقية الجيدة للنص بحيث لا يفقد أحد حلقاته الأساسية، مع أنّ "فان ديك" يتدارك بعض الشيء ويأتي ببعض التحفظات لأجل تطبيق تلك القوانين **الاختزالية**، أهمها إثنان على وجه الخصوص:

¹ - نفسه، ص. 283.

² - Coirier et autres . p . 19 .

³ - محمد خطابي . ص . 144 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

- إنَّ البنية الكبرى التي يأتي بها القارئ لا بدَّ أن تكون تمثليَّة لكلِّ النص، أي أنَّ القارئ يعيد كتابة النص مرة ثانية بشكل مختزل وكأنها قواعد إعادة الكتابة التي جاء بها "شومسكي" أثناء المعالجة الجمليَّة .

- أما التحفظ الثاني هو أنَّ ((البنية الكلِّيَّة يمكن أن تكون موضوع قيود وقواعد مختلفة حسب أنواع الخطاب))¹. فإن أخذت أنواع الخطابات أو أنماط النصوص بعين الاعتبار عند تطبيق هذه العمليات التي سميت بالقوانين الحذفية الكبرى، تصبح العملية بالضرورة معقدة وتأخذ شكلها النسبي بدلا من شكلها الكلِّي الذي سبق إعطائه على شكل قوانين رياضية .

لقد عالج "فان ديك" و"كينش" مسألة تقليص النصوص وأكد على أنَّ العناصر اللغوية الأكثر عرضة للحذف لأجل تأسيس البنية الكبرى هي النعوت والإضافات والمجرورات....، أي ما يقال عن الموضوع، أو ما يقابل وجهة النظر أو صفات الموضوع. ولقد أدرج النحو العربي تلك المسائل ضمن التوابع التي يمكن للكلام أن يستقيم بدونها ويمكن للمتكلم أن يستغني عنها. لذا تبقى تلك القوانين نسبية إنَّ أخذت أنواع النصوص بعين الاعتبار، فهناك نعوت يمكن أن تصير تمييزية في بعض السياقات، بل تكون هي البؤرة، مثل:

- تبحث البنت الصغيرة عن كرتها الخضراء داخل العشب.

إنَّ النعت "خضراء" في هذه العبارة يبدو تمييزا ومهَّما، خاصة إن افترضنا أنَّ العشب أخضر لأنَّها عبارة دالة على صعوبة العثور البنت على كرتها الخضراء إذ لو كانت الكرة حمراء أو صفراء أو بيضاء لما سببت ذلك التعب للبنت. وبالتالي يصبح لون الكرة مهَّما وأساسيا وحاملا لبؤرة العبارة، ولذلك لو يحذف تفقد العبارة بالضرورة دلالتها على صعوبة العثور على الكرة.

يبدو أنَّ قاعدة الحذف هي نفسها قاعدة التعميم، حيث يمكن تجميع عبارات تكون بينها علاقة التتالي أو علاقة السببية على شكل عبارة واحدة، مثل:

¹ - نفسه، ص 284.

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

-يسافر محمد بالقطار.

يمكنها أن تكافئ: ذهب محمد إلى المحطة، اشترى تذكرة، توجه إلى الرصيف.

البحث عن البنية الكبرى من طرف القارئ هو بحث عن انسجام النص من الناحية اللغوية، الموضوعاتية، الذهنية، المنطقية - التطورية. يستخلص القارئ هذه البنية الانسجامية معتمدا على معرفته اللغوية، على حدسه، معرفته بالموضوع المعالج في النص ومعرفته المنطقية وكذلك معرفته بنوع النص المقروء معتمدا على تنشيط بنيات ذهنية معقدة ومتشابكة، وكذلك توظيفه لمخزون معرفي يأتي به من الذاكرة البعيدة المدى أي الدلالية، مؤظفا في الآن نفسه للذاكرة العاملة أو القريبة المدى لأنه يؤظف عمليات استرجاعية متعددة الأنشطة، مؤظفا لمعرفته اللغوية - النصية، مسترجعا لنصوص أخرى شبيهة، مناقضة، معالجة لنفس الموضوع، حاملة لنفس الشكل... تنشيط إذن بنيات ذهنية لأجل بناء تمثلات جديدة قبل أن تسجل على شكل بنيات لغوية . لقد طوّرت كثيرا هذه البحوث من طرف "كينش" و"فرين" لسنة 1978... فالعملية الإسنادية مثلا، أي عملية إنجاز الدلالات تفهم أولا ظاهرة وموضوعا لسانيا كليا ناتجة عن النشاط الذهني¹ فموضوع الخطاب إذن ليس شيئا معطى، وإنما هو شيء يبينه القارئ مسترشدا بالنص². يقول كذلك "الخطابي" عن وظيفة البنية الكلية أو البنية الكبرى: ((ورغم هذا فإنّ البنية الكلية تبقى إجراء منهجيا لإبراز انسجام النص - في اعتقادنا - وليس وسيلة لتلخيصه أو فرز المعلومات المهمة "أساسية" من المعلومات غير المهمة "العرضية")³.

أخيرا يمكن أن نخلص إلى ملاحظات أهمها:

يمكن أن يدرج البحث الخاص بتأسيس البنية الكبرى ضمن الاتجاه **التقليصي** أو **الحذفية** أو النظرية **التقليصية** بشكل عام التي تحاول أن تختزل القوانين وتقلص النصوص

¹ -Brigitte Marin et Denis Legros: psycholinguistique cognitive . lecture ; compréhension et production de textes . Editions de Boeck .1^{er} édition . 2008 . p.15 .

² - محمد خطابي، ص. 295 .

³ - نفسه، ص. 296 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

كذلك، هذه التقليصية التي سعت إليها كثيرا نظرية "شومسكي"، أي محاولة الوصول إلى التمثيل اللغوي على شكل قوانين رياضية مختزلة إلى أقصى الحدود وإنجاز قوانين يمكن تطبيقها على كل اللغات.

إنّ هذه القوانين التقليدية يمكن اعتبارها كذلك قوانين إعادة كتابة بالمفهوم "الشومسكي"، أي أنّ القارئ لنصه يعيد كتابته مرة ثانية بشكل مختزل. فهذه العبارة الممثلة للبنية الكبرى يفترض أن تكون مكافئة للنص المقروء دلاليا.

يفترض إذن في هذه القوانين التقليدية أن تكون صالحة التطبيق على كل النصوص مهما كانت نماذجها أو أنواعها أو أنماطها . إنّ البحوث التطبيقية الكثيرة والمتنوعة هي وحدها الكفيلة بالكشف عن كلفة أو نسبية هذه القوانين ما دام لكل قارئ ولكل نص بنيته الكبرى الخاصة به. إذ أنّ ((طريق الوصول إلى البنية الكلفة تختلف من خطاب لآخر))¹. فنحن بالضرورة لا نوظف الإجراءات الذهنية نفسها مع كل أنماط النصوص، فكّما يكون النمط النصي معروفا ومألوفا لدى القارئ، كلّما كان القارئ داريا بموضوع النص، كلّما سهلت عليه مهمة التقليص والحصول على البنية الكبرى .

يبدو أنّ الكثير من المفاهيم الخاصة بمعالجة الجملة قد نقلت إلى معالجة النصوص مع أنّه يفترض أنّ معالجة الجملة مختلفة كثيرا عن معالجة النص حتى وإن قيل أننا نتواصل بالنصوص بدلا من الجمل. إنّ المعالجة الجمالية تبقى قائمة لعدم توفر الكثير من المعطيات التي تعطيها النصوص. فحتى وإن نقلت تلك المفاهيم اللسانية - الجمالية: الحدس، المقبولية، النحوية، التقليدية، الحذفية... إلى المعالجة النصية غير أنّ معالجة النصوص يمكن تميّزها بميزة خاصة بالنصية دون الجمالية وهي التناسق النصي الذي تقل معالجته في الدراسة الجمالية. إنّ هذه النقلة المفهومية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. إنّنا ننقل ونحوّل هذه المفهومية لأننا مازلنا نؤمن بطريقة أو بأخرى بأنّ النص مجموعة أو حتى منظومة من الجمل، هذا من جهة ومن جهة أخرى مازلنا لم نتحصل بعد على جهاز مفهومي واضح حول معالجة الذاكرة النصية مثل الجهاز المفهومي الذي طوّرت له لسانيات الجملة منذ مدة.

¹ - نفسه، ص. 284.

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

إن كانت البنية الكبرى هي عنوان النص أو المكافئ لعنوان النص، من أين يبدأ القارئ قراءة نصه؟ من البنية الكبرى أم من البنية الصغرى؟ فإن سبق وأعطيت البنية الكبرى على شكل عنوان فما جدوى تأسيسها مرة أخرى من طرف القارئ؟ كيف يتصرف القارئ مع نصوص بدون عناوين؟ أي بدون أن يوضع القارئ داخل ذلك الإطار المرجعي - النصي؟

إنّما دراسات تبدو جدّ مهمة مازلنا في أشدّ الحاجة إليها .

إنّ وحدة الفهم التي تمّ الاحتفاظ بها هي العبارة لأنّها أكثر ملائمة لهذا النوع من المباحث، ومع ذلك فإنّنا مازلنا نطمئن أكثر إلى مفهوم الجملة لأنّنا نعرف حدودها، أي أين تبدأ وأين تنتهي. هذا عكس العبارة التي ترتبط بالحصول على المعلومة أو الإفادة بالمفهوم النحوي القديم، ضف إلى ذلك أنّ إفادتها غير واضحة إلا وهي ترتبط بالعبارات السابقة واللاحقة كذلك.

أما مفهوم كلّ من السلسلة والمتتالية فهو أكثر غموضا وأكثر ضبابية لأنّ حدودها غير معروفة - حتى وإن وضع "شومسكي" تلك الرموز الدالة على حدود المتتالية

إنّ الفروقات التي يمكن أن تكشف عنها البحوث الميدانية التجريبية بين إدراك الصورة مثلا أو بقية وسائل الاتصال الأخرى وبين إدراك وفهم العبارة اللغوية يمكنها أن تساعد على فهم أكثر للتسلسلية اللغوية ولكيفية معالجتها ذهنيا من طرف القارئ.

إنّ القارئ لأجل فهم نصه يدمج العبارات الصغرى، الحاملة للقضايا الصغرى، الأكثر لسانية، ذات الاستقلالية المحليّة غير المستقلة عن الكلّية، موظفا للذاكرة القصيرة المدى كي ينتهي أخيرا إلى بنية كبرى واحدة حاملة للقضية الكبرى، أكثر ذهنية، أكثر تعقيدا، ليست تجميعا للبنيات الصغرى، موظفا للذاكرة الدلالية أو البعيدة المدى .

قائمة المراجع باللغة العربية:

- 1- حبيبي ميلود: الاتصال التربوي وتدرّس الأدب دراسة وصفية - تصنيفية للنماذج والأنساق. الطبعة الأولى. المركز الثقافي. الدار البيضاء. المغرب. 1993.

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

2- حبيبي ميلود: بيداغوجية التلقي واستراتيجية التعلّم، تلقي النصوص الأدبية بين تأثير البنية النصية والموسوعية المعرفية للقارئ، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومناظرات . جامعة محمد الخامس . المملكة المغربية. 1995.

3- فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة سعيد حسن بحيري. دار القاهرة للكتاب . مصر, 2001.

4- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب. 1988.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

1-Adam Jean- Michel et André Petit-jean: le texte descriptif. Nothan Université . Paris . 1989 .

2-Adam Jean-michel: pour une pragmatique linguistique et textuelle . IN: Jean Molino et autres; sous la direction de Claude Reichler dans: l'interprétation des textes . les Editions de Minuit . Paris . 1989 .

3-Anne Reboul et Jacques Moeschler: pragmatique du discours ; de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours . Armand Colin . Paris . 1998 .

4-Baylon Christian: sémantique du langage ; Initiation . chapitre 6 . le sens implicite .

5-Marin Brigitte et Legros Denis: psycholinguistique cognitive . lecture ; compréhension et production de textes . Editions de Boeck Université . 1er Edition .2008 .

6-Caron Jean: les régulations du discours ; psycholinguistique et pragmatique du langage . P . U . F . 1er Edition . 1983 .

7-Coirier Pierre et autres: psycholinguistique textuelle ; approche cognitive de la compréhension et de la production des textes . Armand Colin / Masson . Paris . 1996 .

8-Dufays . J ;Louis: stéréotype et lecture . Mardaga Editeur .Liège. 1994 .

9-Dubois Jean et autres: dictionnaire de linguistique. Larousse . Paris Cedex . 1989 .

10- Gallisson .R./ Coste .D.: dictionnaire de didactique des langues . Hachette . Paris . 1976 .

D'analyse du discours . Armand Colin . 1^{er} Edition . 2007 .

11- Geoges-Elia Sarfati: éléments d'analyse du discours . Armand Colin . 1^{er} Edition . 2007 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة

12- Greimas et Courtés: dictionnaire raisonné de la théorie du langage . Hachette . Paris . 1997 .

13-Kleiber Georges: co-texte et calcul du sens . Actes de la table ronde tenue à Canne les 2 et 3 février . 1996 . publiés sous la direction de Claude Guimier . Cedex . France .

14- Köhler Wolfgang: psychologie de la forme . Gallimard . Editions . 1964 .

15- Mounin Georges: dictionnaire de la linguistique . P. U .F . Paris . 1974 .

16- Orrechionnie . C . Kerbrat: l' implicite . Armand Colin . Paris . 1986.

17-Rui Da.Silva Néves: psychologie cognitive . Armand Colin . Paris . 1999 .

فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى ----- د. فريدة بوساحة